الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة العربي التبسي
القطب الجامعي دريد عبد المجيد بولحاف الدير
كلية الأداب و اللغات الأجنبية
قسم اللغة و الأدب العربي

الأبعاد الدلالية للإشاريات في القرآن الكريم
مقاربة تداولية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل م د) تخصص : لسانيات عربية

إعداد الطالب :
عبيد جلاب

اشراف الأستاذ الدكتور
عبد الحميد عمروش

لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
يوسف عمر	أستاذ محاضر أ	جامعة الشيخ العربي التبسي	رئيسا
عبدالحميد عمروش	أستاذ محاضر أ	جامعة الشيخ العربي التبسي	مشرفا و مقررا
رشيد عمران	أستاذ محاضر أ	جامعة الشيخ العربي التبسي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2023-2024

شـكـر وعـرفـان

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة العقل والإسلام وأنار بصيرتنا وأرشدنا إلى طريق العلم والإيمان، فله الحمد وخالص الشكر أن وفّقنا لإنجاز هذا العمل، ونسأله أن يجعله خالصا لوجهه نافعا لخلقه.

وبعد شكر الله سبحانه، لايسعنا إلا أن نشكر الوالدين الكريمين الذين رافقانا طوال المسيرة الدراسية، فحفظهما الله ومدّ في عمرهما في الخير والإحسان والطاعة.

كما لا يفوتنا في هذا المقام الختامي لهذه المرحلة العلمية، أن نشكر كثيرا أستاذنا الفاضل عبد الحميد عمروش الذي أشرف على البحث، ولم يبخل علينا بطيّب الملاحظة والتنويه، فوفّقه الله ومتعه بالصحة والعافية وزاده فضلا على فضل.

ونوجّه شكرنا أيضا إلى كل من مدّ لنا يد العون وساهم في إنجاز هذا العمل.

مـقـدمــة

تعدّ اللسانيات التداولية حقلا من حقول علم اللغة الحديث، التي تقوم على مجموعة من المعارف والقضايا الأخرى، إذ إنها تهتم بدراسة أنظمة التواصل بين مستعملي اللغة الواحدة وهو ما يسمى بنظام التواصل الإنساني، والذي بواسطته يستطيع الإنسان تبليغ السامع ما يريد من الكلام، حيث نجد أن من أبرز موضوعات التداولية –علاوة على الافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والحجاج، وأفعال الكلام– حقل الإشاريات، لكونه مبحثا يتأسس على علاقات عناصرها بمرجعياته اللغوية والسياقية، فالكلمات الإشارية تحمل العديد من الدلالات في سياق التداول، وذلك بمختلف تقسيماتها (الشخصية، الزمانية، المكانية، الاجتماعية والخطابية).

وتتمثل الإشاريات في أسماء الإشارة والأسماء الموصولة والضمائر وظروف الزمان والمكان، وإذا فالإشاريات هي أشكال إحالية تربط سياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم، ومنها يتضح لنا أن الإشاريات تهتم بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تستخدم فيه.

وللإشاريات دور في تكوين الخطاب وربطه بالسياق الذي يتفاعل معه، وعليه تعدّ الإشاريات من أهم مجالات التداولية التي تهتم بالعبارات المحدّدة للمعنى، والأسماء المشار إليها، والتي لا يمكن تفسيرها خارج السياق الذي ترد فيه.

وعلى هذا الأساس تطرح الإشكالية الآتية: ما الأبعاد الدلالية للإشاريات في القرآن الكريم، وكيف تجلّت هذه الأبعاد في سورة البقرة على وجه الخصوص، وكذا في الخطاب القرآني بعامّة؟ التوبة، يونس، النور، القصص...وكيف وُظِّفت العناصر الإشارية بمختلف أنواعها في هذا الخطاب القرآني؟

وأما فيما يخص اختيار الموضوع فيرجع إلى قلة الدراسات التداولية الإشارية في النص القرآني، وكذا اختيار سورة البقرة على وجه الخصوص لكونها سورة اتسع فيها السياق، وذلك بتعدد المخاطبين فيها وأيضا لتعدد موضوعاتها، بالإضافة إلى تنوع الزمان والمكان فيها، وما احتوته من قصص ومحاورات وحجاج بين المتخاطبين.

كما اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي مع قيامنا بإجراءات تحليلية وتعليلية، لأنه الأنسب لهذا النوع من البحوث في وصف كيفية التداول للعناصر اللغوية الإشارية.

كما تعتبر قلة المراجع المرتبطة بالبحث من أهم الصعوبات التي واجهتنا في تناول موضوع البحث، بالإضافة إلى صعوبة التعامل مع النص القرآني وتطبيق المناهج الحديثة العلمية عليه.

وجدير بالذكر في هذا المقام أن نشير إلى أن مثل هذه الدراسات في الإشاريات التداولية قد سبق إليه جمع كثير من الباحثين، اختلفت فيها مسالك دراستهم ومدوناتهم، ومن أبرز هذه الدراسات نجد:

– المقاصد التداولية للإشاريات الزمكانية في شعر عبد الله البردوني، للباحث جودي مرداسي، جامعة باتنة1، الجزائر، 2021.

– البعد التداولي للإشاريات في الخطاب النثري: مقامة ابن أبي الخصال الأندلسي أنموذجا، للباحثة زرقين فريدة، جامعة 8 ماي1945 قالمة، الجزائر، 2022.

– الأبعاد التداولية للإشاريات في الأمثال الشعبية الجزائرية، للباحثة الوشعي العطرة، إشراف: أ. د نبيل مزوار، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر.

وعلى هذا الأساس اعتمدنا في بحثنا هذا على خطة تضمنت مقدمة ومدخل وفصلين ثم خاتمة لخَّصْتُ فيها أهم نتائج البحث.

تضمن المدخل المعنون بـ: **مدخل إلى المفاهيم الأساسية للبحث** تعريفا للكلمات المفتاحية للبحث وهي: **الدلالة، الأبعاد الدلالية، التداولية، الإشاريات.**

وأما الفصل الأول الموسوم بـ: **أنواع الإشاريات،** فيتناول تعريفات الإشاريات الشخصية، الزمانية، المكانية، الاجتماعية والخطابية.

وأما الفصل الثاني فقد عنوناه بـ: **الإشاريات في الخطاب القرآني، نماذج مختارة.** حيث تم تحرّي ورود أنواع الإشاريات في السور، واستخراج الآيات القرآنية التي تحوي على عنصر من العناصر الإشارية.

ويختتم البحث بخاتمة، وهي حوصلة لما تم دراسته في البحث وتضمنت خلاصة البحث.

مـقـدمـة

مدخل إلى المفاهيم الأساسية للبحث.

أولا: تعريف البعد.

1- البعد لغة: "ورد في المعجم الوسيط عدة معان للفظة بَعُدَ بُعدًا: بَعُدَ فهو بعيد وبعداء وبه جعله بعيداً. نقول أبعد فلان تنحى بعيدا وجاوز الحد. ويُقال: أبعد في السَّومِ:اشتطّ. وأبعد في السفر. وأُبعدت الناقة في الرعي. ويقال في الدعاء عليه: أبعده الله. وباعده مُباعدةً وبعاداً: أبعده جانبه وجافاه."[1]

كما ورد في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ): "البعد ضد القرب نقول: بَعُدَ يَبعُدُ بُعداً فهو بعيد. وباعدته مباعدةً، وأبعده الله: نحاهُ عن الخير،وباعد الله بينهما وبعَّدَ. وفي الجمع نقول: أبعدون وأباعد وهي متضمنة لمعنى اللعن كقولك: أبعدك الله."[2]

2- **البعد اصطلاحا:** "بالضم وسكون العين ضد القرب وهو امتداد بين الشيئين لا أقصر منه، أي لا يوجد بينهما أقصر من ذلك الامتداد، سواء وُجد مساويا لذلك الامتداد كما في بعد المركز من المحيط أو زائدا عليه كما في غيره. وهذا تفسير أولى مما قيل هو امتداد الأقصر من الامتدادات المفروضة بين الشيئين لأنه لا يشمل بُعد المركز من المحيط فإنه بقدر نصف القطر مع أنه ليس أقصر الخطوط الواصلة بينهما."[3]

1- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية للنشر، ط5، (د.س)، مصر، القاهرة، ص63.

2 – الخليل ين أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي ،ج1، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان،بيروت، ص149.

3 – محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، لبنان، بيروت، ص341.

ثانيا: تعريف الدلالة.

1- الدلالة لغة: "يشير الاستعمال اللغوي لهذا اللفظ كما أوردته المعاجم اللغويّة العربية المتعددّة، عن أن الدلالة مصدر للفعل الثلاثي (د، ل، ل). يقول ابن منظور (ت 711هـ): "والدلالة من: (دلّ، يدِلّ) فلان إذا هدى، وفلان يُدِلّ على أقرانه كالبازي يُدِلّ على صيده. وهو يُدِلّ بفلان أي يثق به. ودلّه على الشيء يدُلّه دلاّ ودَلالة فاندلّ: سدّده إليه، والدليل: ما يستدلّ به. والدليل: الدالّ. وقد دلّه على الطريق يدُلّه دَلالة ودِلالة ودُلولة، والفتح أعلى. والدّليليّ علمه بالدلالة ورسوخه فيها. والدّليلة: المحجّة البيضاء. والدلدلة: تحريك الشيء المنوط"[1]

"من مادة دَلَّل. ورد في الكليات أنها مصدر كالكتابة و الإمارة والدال ما حصل منه ذلك."[2]

"أما ابن فارس (ت395هـ) فذهب إلى أن الدال واللام أصلان أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء.

الأول قولهم: دللتُ فلانا على الطريق.

والأصل الآخر قولهم: تدلَّل الشيء إذا اضطرب."[3]

فالمعنى الأول هو الأشهر والمتداول في اللسان العربي، وهو الذي يُعنى بدراسة المعنى داخل التركيب اللغوي.

1 - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون،الناشر/مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1970، ص259-260.

2 - ينظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح:عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص439 .

3 - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح:شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر،ج2، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.س)، ص349.

كما ورد في معجم لسان العرب لابن منظور (ت711هـ): دله على الشيء يدله دلاً سدَّده إليه أي أرشده. ومن هذا المعنى ما ورد في قوله تعالى: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه. أي أرشدكم وأهديكم، فالدلالة والهداية بمعنى متقارب.

قال أبو البقاء الكفوي: "الدلالة أعم من الإرشاد والهداية والاتصال بالفعل معتبر في الإرشاد لغة دون الدلالة، وكذلك في الاستعمال لأن الهداية تكون إلى الخير فقط أما الدلالة فقد تكون لغيره."[1]

كما أورد الجوهري (ت393هـ) في معجمه: "الدلالة في اللغة مصدر دلَّه على الطريق دِلالةً و دَلالةً ودُلولةٌ في معنى أرشدهُ."[2]

مروأمّا الفيروز آبادي فيقول: "دلُّ المرأة، ودَلالها: تدلّلها على زوجها، ودلّه عليه دَلالة، ويثلّث، ودُلولة فاندلّ: سدّده إليه، وتدلدل: تهدّل وتحرّك متدلّيا، وقوم دَلدال ودُلدُل، بالضمّ: تدلدلوا بين أمرين فلم يستقيموا"[3]

2- الدلالة اصطلاحا:

"تُعرف الدلالة بأنها دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى."[4]

"كما أورد الراغب الأصفهاني (ت356هـ) تعريفا للدلالة وذلك بقوله: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في

1 – الكفوي، المرجع نفسه، ص 439 .

2 – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حامد الجوهري، دار الحديث،القاهرة، د، ط ،2009، ص1698 .

3 – الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 8، 2005، ص900.

4 – أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب ، القاهرة، مصر، ط5 ، 1998 ، ص 11.

الحساب سواء كان ذلك لقصد مما يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة انسان فيعلم أنه حي."[1]

فمن خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي نتوصل إلى أن الدلالة تدرس كيفية تعبير اللغة عن المعاني، فهو علم يتناول العلاقة بين الكلمات والرموز والإشارات والمفاهيم التي تمثلها وهو علم يُعنى بدراسة المعنى داخل التراكيب اللغوية.

ثالثا: تعريف الأبعاد الدلالية.

تتعلق الأبعاد الدلالية بكيفية تشكيل معنى الكلمة فللكلمة الواحدة أبعاد مختلفة من الناحية الدلالية في العبارة الواحدة،وهذا ما دعا علماء اللغة إلى تقسيم هذه الأبعاد إلى:

1- البعد الدلالي المعجمي:هي الدلالة المتعلقة بتعدد المعاني للمفردة الواحدة وذلك بحسب سياق الكلام اللغوي التي توجد فيه.

2- البعد الدلالي الصوتي: تتعلق هذه الدلالة بالقيمة الصوتية للحرف الواحد وما يعبر عنه ومثال ذلك الفعل قضم وخضم فالأول يعني أكل شيء يابس والثاني يعني أكل شيء رطب.

3- البعد الدلالي الصرفي: وهي الدلالة التي تبحث في الأوزان والصيغ المجردة ومعانيها المختلفة ويعتمد اختلاف هذه المعاني على أصل الكلمة من الناحية البنائية.

4- البعد الدلالي الصرفي: هي الدلالة التي تعتمد على موقع الكلمة المفردة الواحدة في الجملة ومعناها داخلها، فيكون التركيب الذي تواجدت فيه هذه الكلمة هو أعطاها هذا المعنى.

1 – الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم للنشر، دمشق، سوريا، ط 1، 2000، ص 228

رابعا: تعريف التداولية.

1- تعريف التداولية لغةً:

"أصل كلمة تداولية (دَوَلَ)، جاءت في أساس البلاغة: "دَالَت لَهُ الدَّوْلَة، ودَالَتِ الأيام بكذا، وأَدَالَ الله بَنِي فُلان مِن عَدُوّهم: جَعَلَ الكَرّة لَهُم عَلَيهم، والدَّهر دول وتداولوا الشَّيْء بينهم."[1]

"وفي مقاييس اللغة لابن فارس وجدناها تدل على أصلين: الأول: تحول الشيء من مكان إلى آخر، والثاني: يدل على ضعف واسترخاء. فقال أهل اللغة:" انْدَال القوم إِذَا تَحوّلُوا مِنْ مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القومُ الشيءَ بينهم، إذ صار بعضهم إلى بعض والدُّولة والدَّوة لغتان ويقال بل الُّولة في المال والدَّولة في الحرب، وإنما سُمِّيا بذلك من قياس الباب لأنه أمر يتداولونه فيتحول من هذا على ذاك، ومن ذاك إلى هذا."[2]

2- تعريف التداولية اصطلاحاً:

كانت أبحاث اللسانيات تقتصر على الجانبين البنيوي والتوليدي، "فتهتم بدراسة المنجز في صورته الآنية بغض النظر عن السياق الذي أنتج فيه، أو علاقته بالمرسل وقصده بإنتاجه، وتهتم بتفسير الظاهرة اللغوية في عمقها، قبل الإنجاز، ويمثله النحو التوليدي والتحويلي بتطوراتهما."[3]

وقد تحولت اللسانيات بمنظور التيار البنيوي إلى علم يدرس اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية، في الوقت نفسه.

"فالتداولية إذا علم تواصلي جديد يُعنى بكيفية توظيف المتكلم للمستويات اللغوية المختلفة في سياق معين،لذلك يعترف كارناب أن التداولية قائمة على مجموعة من التساؤلات هي: ماذا

1 – جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص303.

2 - ابن فارس، المرجع السابق، ص314.

3 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص23.

نصنع بالكلام؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بكذا بينما في مقدوره أن يفعل؟ فمن يتكلم إذن، وإلى من يتكلم؟ تساؤلات كثيرة تسعى التداولية الإجابة عنها."[1]

"ونظرا لسعة مجال التداولية في المنظومة الفكرية الحديثة، يصعب إيجاد تعريف شامل ودقيق لها، إضافة إلى أنها نظرية لم يكتمل بناؤها بعد. ومن أهم الصعوبات التي تصادف التعريف بالتداولية تعدد التسميات العربية فقيل: البراغماتية، المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النفعية.

وكل مصطلح من تلك المصطلحات معنى معين، فلا يسمح باستعمالها مترادفة."[2]

"فالتداولية تتداخل مع كثير من العلوم الأخرى، فتمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة منها: الفلسفة التحليلية ممثلة في فلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي ممثلا في نظرية الملائمة على الخصوص ومنها اللسانيات بطبيعة الحال."[3]

1 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص 07-08.

2 – ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009،ص63.

3 – مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص16.

مما جعل كل باحث ينطلق في تعريفها من مجال تخصصه، ومن أبرزها:

أ- عند شارل ساندريس بيرس (Charles Sanders Peirce 1839-1914):

"يعتبر الفيلسوف والسيميائي تشارل ساندرس بيرس من الأواخر الذين أحدثوا تطورا في المجال اللساني والفلسفي في الثقافة الغربية، حيث اهتم بدراسة العلامة، انطلاقا من مفهومها الفلسفي."[1]

وقد وصف العلامة في ثلاثة مجموعات، هي:

***العلامة رمز:** "وترتبط بالمرجع بواسطة عرف ثقافي، وقد أكد دي سوسير اعتباطيتها.

***العلامة الإشارة:** وهي علامة لا تشتغل إلا في الورود، طالما أن وجودها يتبع سياقا ما مثل: الدخان والنار.

***العلامة الأيقونة:** وهي علامة تشارك المرجع في عدد من الخاصيات التي يتوفر عليها، مثل: الرسم التصوري."[2]

"وفي هذا الشأن قدم شروحا وافية في مفهوم الدليل، حيث يقوم على مبدأ التأويل، ويتنوع بحسب علاقته بموضوعه. فالأيقونة تطابق الموضوع صوريا، والأمارة تقوم على علاقة العلة بالمعلول.

وقد اهتم بيرس بالإشارة اهتماما بالغا وبحث عن الطرق التي بواسطتها يتم الاتصال بين الأفراد، وجعلها نظرية، ليعتبر من خلال ذلك التداولية فرعا من السيميائيات، وذلك فيما كتبه وعبر عنه في تلخيصه لإطارها العام وذلك أن اللسانيات المتداولة تفترض كلا من الدراسة

1 – ينظر: خليفة بوجادي، المرجع نفسه، ص 55.

2 – فليب بلانشيه، التداولية في أوستن إلى غوفمان، تر:صابر الحباشة، دار الحوار، دمشق، سورية، ط1، 2007، ص 42.

التركيبية والدلالية. فكانت التداولية التي عند بيرس حسب الدارسين، تمييز بين الدلالة بعدِّها دراسة المؤولات ورواسبها."[1]

ب- عند تشارلز موريس(Charles Maurice 1754- 1838):

"هو أول من استعمل مصطلح التداولية سنة 1938م، فالتداولية عنده جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"[2]. فهو يركز على العلامة، ومدلولاتها داخل النص، وعبر الخطاب.

"وتمثل التداولية – حسب رأيه – فرعا من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات وهي:"[3]

***علم التراكيب:** وهو يعني بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.

***علم الدلالة:** وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل عليها.

***التداولية:** وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها.

"إذا النسق السيميائي لدى موريس يتحدد في أبعاد ثلاثة: النحوية، الدلالية، التداولية.

– العلاقة الشكلية للعلامات فيما بينها وتتحقق من خلال البعد النحوي التركيبي.

– علاقة العلامات بالموضوعات وتتحقق من خلال البعد الدلالي.

– علاقة العلامات بالمؤولين وهي علاقة تداولية تحيلنا إلى علاقة العلامات بمستعمليها"[4].

"فمفهوم موريس للتداولية قائم على السيمياء، يقول فرانسوا لاترافاس:" إن مجموع المقترحات والتعريفات والفرضيات التي قدمها موريس تسعى إلى تمييز هدفين: يتعلق الأول بتعريف هذه

1 – خليفة بوجادي، المرجع السابق، ص 55- 56.

2 – فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت)، ص6.

3 – محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، القاهرة، د ط، 2002، ص 09.

4 – ينظر: خليفة بوجادي، المرجع نفسه، ص 57.

المجالات، وتحديد عدد الاحتمالات والخصائص التي يمكن أن تكون ممثلة للأفكار الجاهزة، ومن ناحية أخرى، دمج المجالات وضمها، ثم تعريف بنيتها بالنسبة إلى مجموع السيمياء. والتداولية تباشر عملها ضمن أسس أجوبة هذين الهدفين."[1]

ج- عند جون أوستين (John Langshaw Austin 1911-1960):

"وهو من أبرز الفلاسفة التحليلين، ومن أهم ما رآه أن وظيفة اللغة لا تقتصر على وصف وقائع العالم وصفا يكون إما صادقا وإما كاذبا، وأطلق عليه المغالطة الوصفية."[2]

"وذلك تمييزا بين نوعين من العبارات التي تكون أفعالا منجزة، فالأولى تخبر عن وقائع العالم الخارجي ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، والثانية تنجز بها أفعال، فهي لا تحتمل صدق أو كذبا، كأن يقول رجل مسلم لامرأته: أنتِ طالق، فهذه العبارات وأمثالها لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي."[3]

ومن خلال هذا يتبين لنا أن أوستين وضع نظرية الأفعال الكلامية، وهي نظرية ذات خلفية فلسفية ومنطقية، والتداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة لأفعال الكلام.

وفي الغالب تعرف التداولية بأنها:" مجموعة من البحوث اللسانية وهي كذلك الدراسة التي تعني باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية، والمقامية والحديثة والبشرية."[4]

وفي تعريف آخر:" تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب، وتنظر في الموسميات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه الخطابي."[5]

"كما نجد أن المفهوم التداولي، تم تطبيقه على اللغة العربية، فالعرب عرفوا التداولية بكل أبعادها. وكانت نظريتهم في هذا الإطار متكاملة، لكنها متناثرة في كتب أصول الفقه، (ابن

1 – خليفة بوجادي ، المرجع نفسه، ص 57.

2 – محمود أحمد نحلة، المرجع نفسه، ص 43.

3 – ينظر: محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 43.

4 – فليب بلانشيه، المرجع نفسه، ص 18.

5 – فليب بلانشيه، المرجع السابق، ص 19.

رشد القرطبي (ت595هـ)، فخر الدين الرازي (ت606هـ)، سيف الدين الآمدي (ت631هـ)، وفي كتب علماء اللغة والبلاغيين (أبو بشر عمرو بن قنبر المعروف بسيبويه (ت 180هـ)، عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، أبو يعقوب السكاكي (ت626 هـ)...الخ)."[1]

فهؤلاء العلماء الأفذاذ توصلوا إلى عناصر التداولية، وخاصة أثناء استخدامهم أمثلة من لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف.

أما عن أول من أطلق مصطلح التداولية هو "طه عبد الرحمن"*[2]، يقول:" وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي" براغماتيقا" لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيي الاستعمال والتفاعل معا. ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم."[3]

"فهو يرى أن التداولية نظرية استعمالية: من حيث أنها تدرس اللغة في استعمال الناطقين لها، ونظرية تخاطبية: حيث أنها تعالج شروط التبليغ والتواصل، الذي يقصد إليه الناطقون من وراء هذا الاستعمال اللغوي."[4]

وبهذا تكون التداولية قد اكتسبت عدد من التعريفات، حسب اهتمام الباحث نفسه. ولسعة الدراسات التداولية للغة، تفرعت منها نظريات متعددة، وبأكثر من جانب من جوانب الخطاب، منها الإشاريات التي لا يتم تحديدها بدقة ألا في الخطاب المستعمل."

---

1 – ينظر: مسعود صحراوي، المرجع نفسه، ص 6–7

2 – طه عبد الرحمن من أبرز الفلاسفة والمفكرين في العالم العربي الاسلامي المعاصر، له مؤلفات كثيرة منها: العمل الديني وتجديد العقل، حوارات من أجل المستقبل، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، والأصول الأخلاقية للمقاصد الشرعية.

3 – طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البضاء، المغرب، ط2، 2000، ص 28.

4 – طه عبد الرحمن، سؤال اللغة والمنطق، سلسلة رسائل طابة، أبوظبي، الإمارات العربية، ط1، 2010، ص 07 .

3- الأصول الفلسفية للتداولية:

لا أحد ينكر أن البحث التداولي وليد الثقافة الأنجلوسكسونية وقد تطورت في الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا، بسبب الدور الذي لعبته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة، ومن جهة أخرى بسبب ما خلفته النظرية التوليدية في نموذجها الأول من مشاكل نتيجة تمسكها باستقلالية التركيب مما أدى للتفكير بجد في البعدين الدلالي ثم التداولي[1].

لذا يرى جيفري ليتش " أن في المنهج التداولي بعض المشكلات[2]"، بقوله:" لا نستطيع حقيقة فهم طبيعة اللغة ذاتها إلا إذا فهمنا التداولية"، والدرس التداولي المعاصر ليس له مصدر انبثق منه، ولكن تنوعت مصادر استصداره إذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه، فالأفعال الكلامية مثلا، مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام وتيار هو تيار **الفلسفة التحيلية**بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا، كذلك مفهوم **نظرية المحادثة** الذي انبثق من فلسفة بول غرايس، وأما **نظرية الملائمة** فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي.

وبما أن الفلسفة التحليلية هي الينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي وهو الأفعال الكلامية، فقد بانت من الضروري التعريف بهذا التيار الفلسفي وبمختلف اتجاهاته واهتماماته وقضاياه، لأنه يجسد الخلفية المعرفية والمحصن الفكري لنشوء الظاهرة اللغوية موضوع الدراسة. والفلسفة التحليلية لا تعنينا لذاتها، ولكن ما يهمنا منها هو لحظة انبثاق ظاهرة الأفعال الكلامية من قلب التحليل الفلسفي ثم ما انجر عن ذلك من ولادة التيار التداولي في البحث اللغوي، لأن الفلسفة التحليلية هي السبب في نشوء اللسانيات التداولية[3].

1 - أحلام صولح، أفعال الكلام في نهج البلاغة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013/2012، ص 08 .

2 – أحلام صولح، المرجع نفسه، ص 08.

3 – مسعود صحراوي، المرجع السابق، ص 17.

خامسا: تعريف الإشاريات التداولية.

1- تعريف الإشاريات لغةً:

ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة مادة أشار يُشير أشر إشارة فهو مشير والمفعول مشار إليه. أشار إليه بيده أو نحوها أي لوَّح أو ما إليه معبرا عن معنى من المعاني كالدعوة إلى الدخول أو الخروج أو السكوت أو الاستمرار أو غير ذلك. نقول أشار إليه بالسبابة نحو قوله تعالى:" فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا". أشار إلى الانطلاق أي أعطى إشارة ويُشار إليه بالبنان أي مشهور. وأشار إلى الوقت دلَّ عليه .وأشار إلى صعوبات العمل أوردها وتحدث عنها،وأشار عليه بكذا أي أرشده ونصحه أن يفعل كذا مبينا ما فيه من الصواب.[1]

أما الإشاريات فهي ألفاظ دالة على عناصر غائبة حاضرة، حصرها "ولفنسون" (Wolfensohn) في: إشاريات شخصية، اشاريات زمانية، إشاريات مكانية، إشاريات اجتماعية، وإشاريات خطابية.

2- تعريف الإشاريات اصطلاحا:

"تندرج الإشاريات ضمن الحقل التداولي، وهي عبارة عن روابط إحالية لا تتحدّد مراجعها إلا بوجود طرفي الخطاب (مرسل – مستقبل) ضمن سياق كلامي معين. فالسياق له دور بارز في فهم هذه العناصر الإشارية وتأويلها تأويلا مناسبا للتعرف على مقاصد المتكلم باعتبار أن القصدية تعد مقوّما من مقومات النصية. ويذهب الدارسون إلى أن الإشاريات لا يكاد يستغني عنها تقريبا أي ملفوظ، وهذا ما يؤكده **بارهيليل (Barhelel)** بقوله:" إن أكثر من

1 – معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عمر،عالم الكتب، القاهرة، 2008 ،148/01.

تسعين بالمائة من التلفظات التي ننطق بها في سياق حياتنا اليومية هي تلفظات إشارية يحددها السياق التلفظي الذي وردت فيه."[1]

" إذ تُعد الإشاريات من أهم العوامل المساهمة في بناء الخطاب اتساقا وانسجاما إذ لا يخلو الكلام منها، لدورها النحوي ووظائفها الدلالية والتداولية،فهي مكونات لغوية متعددة الأدوار تربط بين أجزاء النص وتساهم في تحديد المعاني التي ينطوي عليها. كما أنها تتصل بسياق الخطاب لتوضح المقاصد التي قصدها المرسل في خطابه وتحديد هوية الأطراف الفاعلة في العلاقة التخاطبية."[2]

"والإشاريات هي مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ الذي يرتبط به معناه، من ذلك: الآن، هنا، هناك، أنا، أنت، هذا، هذه... وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه."[3]

"فالإشاريات مثل: أسماء الإشارة والضمائر...، لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب الذي وردت فيه، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، لذلك سميت مبهمات أو متحولات.

ويمكن إبهامها في كونها لا تدل على غائب عن الذاكرة أو عن النظر الحسي، فالتلفظ بها، يجب أن يكون في سياق يحضر فيه أطراف الخطاب حضورا عينيا، أو حضورا ذهنيا، من أجل إدراك مرجعها."[4]

---

1 – حافظ إسماعيل العلوي، التداوليات علم استعمال اللغة، منشورات عالم الكتب الحديثة، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص441.

2 – الوظائف التداولية للتخاطب وأبعادها الحجاجية، نور الدين أجعيط،عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، 2016، ص 203

3 – الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص116.

4– ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، السابق، ص 80– 81 .

"فهي تمثل عاملا هاما في تكوين بنية الخطاب، من خلال القيام بدورها النحوي، ووظيفتها الدلالية، كما عرفت على أنها " تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم، مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة."[1]

"أي أن الذات المتكلمة أو الأنا تشكل المركز الذي من خلاله تحدد مسألة القرب والبعد، وهي المسافة الفاصلة بين المتكلم أو المخاطب من جهة وبين المشار إليه من جهة أخرى وهي موقع المشار إليه من المركز، كأن يكون إلى الوراء أو القدام أو الفوق أو اليمين أو الشمال. وينحصر دور العناصر الإشارية في تعيين المرجع الذي تشير إليه، وهي بذلك تضبط المقام الإشاري."[2]

ومن هنا يتحدد لنا أن كل ملفوظ إشاري لا يمكن إدراك معناه التداولي، إلا إذا ربطناه بالسياق، الذي قيل فيه، سواء أكان سياقا ثقافيا، حضاريا، أم اجتماعيا.

ويعود الفضل إلى فندرليش، الذي قام بحصر صارم للعناصر المكونة للمقام، وهي:

- "المشاركون في التبليغ: المتكلمون والمستمعون.
- مكان التفاعل.
- القول: (الصفات اللغوية، شبه اللغوية، وغير اللغوية).
- ترقبات: المتكلم والمستمع.
- مساهمة المشاركين في الموضوع: معارفهم اللغوية، المعايير الاجتماعية، شخصياتهم وأدوارهم."[3]

1 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 81.

2 – الأزهر الزناد، نفسه، ص 116.

3 – الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، (د. ت)، ص 41-40.

والإشاريات هي اختصار لـ: "العناصر الإشارية"، "فكان "بيرس" أول واضع لها، فهو يرى أن بالتحديد التداولي تتحدد العلامة"[1]. لذلك فهي تنسب إلى حقل التداوليات، لأنها تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تستخدم فيه.

"ولايقف دور الإشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة، بل يتجاوز إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى، وهي الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة، عند التلفظ به، وهذا ما يعطيها دورها التداولي في إستراتجية الخطاب، وذلك لأن التلفظ يحدث من ذات بسمات معينة، وفي مكان وزمن معينين، هما مكان التلفظ ولحظته، إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي: (الأنا، الهنا، الآن)"[2].

وهذه الثلاثة تتعلق بسياق الكلام، ومنها تعرف مقاصد الكلام الذي كلمه متكلم وسمعه المخاطب.

والإشاريات بجل أنواعها قادرة على صنع جسور كبرى للتواصل بين أجزاء النص المتباعدة موالربط بينها ربطا واضحا. وهذا ما سنحاول الكشف عنه في الخطاب القرآني.

1 – ينظر: محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 16.

2 – عبد الهادي بن ظافر الشهري المرجع السابق، ص 81.

الفصل الأول: أنواع الاشاريات.

تعد الإشاريات اللبنات الأولى لعملية التواصل بين طرفي العملية التواصلية؛ إذ لا تتم عملية التواصل إلا بمعرفة مرجع ثلاثة أنواع منها، هي: الإشاريات الشخصية، والإشاريات الزمانية، والإشاريات المكانية، فهذه الأنواع بمثابة الحجر الأساس لبداية عملية حوارية ناجحة، قائمة على المشاركة الحقيقية بين طرفيه، إذ لا تتم عملية التلفظ بالخطاب دون حضور هذه الإشاريات.

لا تنظر التداولية إلى النص باعتباره بنية لغوية تتكون من كلمات وجمل فحسب، بل تنظر إليه على أنه بنية لغوية أنتجها متكلم أو مبدع معين، بقصدية معينة، وفي موقف كلامي محدد، وفي زمان ومكان محددين، ولمتلقى معين[1].

وهناك كلمات وتعبيرات لا تُفهم بمعزل عن السياق الذي أُنتجت فيه، ومن ضمن هذه الكلمات والتعبيرات **العناصر الإشارية** التي تسهم بدور كبير في فهم النص، فهي وحدات لغوية تتواجد في جميع لغات العالم، وهي خمسة أنواع: **إشاريات شخصية، وإشاريات زمانية، وإشاريات مكانية، وإشاريات اجتماعية، وإشاريات خطابية**[2].

والجدير بالذكر أن الإشاريات بأنواعها الخمسة لم تكن محل اهتمام التداوليين فحسب، بل اهتم بها العلماء قديما من خلال أدوات الربط بين أجزاء الجملة وبين مجموعة الجمل، واهتمامهم ببعض الجوانب الصرفية والنحوية والدلالية، ليهتم بها حديثا علماء التداولية؛ حيث إنهم اعتبروا أن النص يتألف من عدد من العناصر، تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات

1- محمد محروس إبراهيم، تداوليات الخطاب وضوابط الرواية التلقي، مجلة علوم اللغة، المجلد 10، العدد 1، 2008، ص 164.

2- عبد الهادي ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، ط 1، ليبيا، 2004، ص84.

الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمنية والروابط الإحالية في تحقيقها[1].

وتعد هذه الإشاريات بأنواعها المختلفة حجر الأساس لبداية عملية حوارية ناجحة ناجزة، قائمة على المشاركة الحقيقية بين المنتِج والمستقبل.

ويعرفها **فان دايك** بأنها تعبيرات تحيل إلى مكونات السياق الاتصالي يستقي تفسيرها منه؛ وهي المتكلم والسامع وزمن المنطوق ومكانه ...إلخ. وهذا يعني أن هذه التعبيرات غير مستقلة عن السياق، ولها دائما محيلات أخرى[2].

ويذكر **لفنسون** أن التعبيرات الإشارية تذكير دائم للباحثين النظريين في علم اللغة بأن اللغات الطبيعية وضعت أساسا للتواصل المباشر بين الناس وجها لوجه، وتظهر أهميتها البالغة حين تغيب عنا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم[3].

ويمكننا من خلال ما سبق التأكيد على حقيقة مهمة وهي: أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، و إنما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد، مادي اجتماعي ولغوي، وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما[4].

وبناءً عليه، فإنه يمكن حصر العناصر التي يهتم بها المنظرون للتداولية في: المرسل وقصده ونواياه، والمتلقي، والرسالة، والسياق، ثم أفعال اللغة[5].

1 – برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية، تر: محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1987، ص 188.

2 – تون فان دايك، علم النص، تر: سعيد حسن بحيري، دارالفكر، مصر، القاهرة، ط 1، 2005، ص 136.

3 – محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2011، ص 17.

4 – محمود أحمد نحلة، المرجع نفسه، ص 14.

5 – نعمان بوقرة، التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون، مجلة الرافد، يناير، 2006، ص 83.

إذن، فالعناصر الإشارية مفهوم مهم من المفاهيم التداولية التي تجمع كل العناصر اللغوية باعتبارها عناصر تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود ذات متكلمة وزمان التكلم ومكانه، وبالتالي لابد من استحضار السياق المكاني والزماني والشخوص؛ لتحديد العناصر الإشارية.

فالعناصر الإشارية والسياق مرتبطان ببعضهما ارتباطا شديدا، وهو ما أكده الأستاذ حمادي مصطفى عندما رأى أن العناصر الإشارية ماهي إلا علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها[1].

ويرى الشهري أن دور هذه العناصر الإشارية في السياق التداولي لا يقف عند الظاهر منها فقط، بل يتجاوز إلى نمط آخر منها هو مستقر في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ، مما يعطيها دور تداولي في استراتجية الخطاب؛ لأن حدوث التلفظ من ذات المتكلم يكون بسمات معينة وفي حيزين مكاني وزماني، وبهذا فإن الخطاب بصفة عامة يحوي على الأقل ثلاثة إشاريات يسميها الباحثون بـ الأنـا / الهنـا / الآن[2].

ويؤدي السياق دورا مهما في تحديد العناصر الإشارية، ويؤكد الدكتور نحلة هذا الدور من خلال المثال الآتي[3]:

"سوف يقومون بهذا العمل غدا، لأنهم ليسوا هنا".

فقد لاحظ أن هذه الجملة شديدة الغموض؛ لأنها تحتوي على عدد كبير من العناصر الإشارية التي يعتمد تفسيرها اعتمادا تاما على السياق المادي الذي قيلت فيه، ومعرفة المرجع الذي تحيل عليه، والعناصر الإشارية فيها هي:

1 - حمادي مصطفى، تداوليات الاشاريات في الخطاب القرآني، مجلة الأثر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، العدد 26، سبتمبر، 2016، ص 64.

2 - عبد الهادي ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 81.

3 - محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 54.

(واو الجماعة + ضمير الجمع الغائبين + اسم الإشارة "هذا" + ظرفا الزمان "غدا" و"الآن" + ظرف المكان "هنا").

ولا يتضح معنى الجملة إلا بتحديد السياق الذي أنتجت فيه، باعتباره عاملا أساسيا لمعرفة ما تشير إليه هذه العناصر.

وهكذا تكون بنية الخطاب التداولي:

عناصر إشارية	+	سياق

ويرى الدكتور عيد بلبع أن العناصر الإشارية من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، لذلك فقد كان العرب سابقا يطلقون عليها المبهمات.

وبالتالي، فإن هذه العناصر الإشارية تتضافر مع السياق، فتتضح دلالتها بصورة أكثر وضوحا من ذي قبل. ولهذا اخترت من الدرس التداولي جانب الإشارية كآلية تحليلية نتعرف من خلالها الإمكانات التي تضمنها لغة الخطاب القرآني.

أولا: الإشاريات الشخصية.

وهي العناصر الإشارية الدالة على شخص ما، وتشمل ضمائر المتكلم نحو: أنا، نحن، وضمائر المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا مذكرا أو مؤنثا. وضمائر الحاضر هي دائما عناصر إشارية، لأن مرجعها يعتمد اعتمادا كليا على السياق الذي تستخدم فيه[1]، فالذات المتلفظة – المتكلم – تدل على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن متكلم واحد، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه، وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداوليا، لأن "الأنا" قد تحيل على المتلفظ الأستاذ أو الطالب، أو العامل، وتوظيفها يختلف من فترة لأخرى.[2]

كما يشير "أنت" إلى المتلقي للخطاب، وبين "أنا" و "أنت" يتشكل الخطاب و"تحقيق الفاعلية في اللغة، واستعمالها، يعني الحديث عن الضمائر التي تلعب دور تحويل اللغة إلى ممارسة ونشاط فردي من خلال الاستعمال، حيث إن المتكلم حين يملك اللغة ويتحكم فيها يجعلها من إمكانياته، و يُنصِّبُ نفسه في مرتبة عالية ضمن العملية التخاطبية، ولا يتحدث إلا لشخص ينصبه أمامه"[3]. يقول مانغونو:" عند استعمال " أنا" و "أنت" فكل متكلم يُرجع نظام اللغة لفائدته. ف أنا وأنت ليسا علامات لغوية لنمط خاص من المبهمات (الضمائر)، إنها قبل كل شيء عوامل تحويل اللغة إلى الخطاب.[4]

فالاشاريات الشخصية هي بشكل عام، الاشاريات الدالة على المتكلم، أو المخاطب أو الغائب، كما تدخل في الإشارة إلى شخص النداء، وتعد الأنا أو الذات المتلفظة محور التلفظ في الخطاب تداوليا، كما أن ممارسة التلفظ هي ما يدل على المرسل في البنية العميقة مما

1- محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 17-18.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص82.

3 – حمادي مصطفى، المرجع نفسه، ص 97.

4 – ينظر: براون يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997، ص 35.

يجعل حضور الأنا في كل خطاب، ولهذا لا ينطقها المرسل في كل حين، إذ يعول على كفاءة المرسل إليه[1].

كما أنها عاجزة بمفردها على تحديد إحالتها الحاصلة عند الاستعمال لذلك عدَّها "ميلنر" فاقدة للاستقلالية الإحالية.[2]

فالضمير، اسم غير متصرف يكنى به عن الغائب أو الحاضر، والحاضر نوعان: مخاطب أو متكلم.[3]

تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري، وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه، وهو المتقبل، وكل مجموعة منهما تنقسم بدورها حسب الجنس والعدد إلى أقسامها المعروفة.[4]

وقد تطرق العرب القدامى إلى دراسة الضمائر، وقاموا بتقسيمها إلى متصلة ومنفصلة، وفي هذا يقول السكاكي (ت626هـ):" اعلم أن الضمير عبارة عن الاسم المتضمن للإشارة إلى المتكلم، أو إلى المخاطب أو إلى غيرهما بعد سبق ذكره، هذا أصله، وهو أعني الضمير، ينقسم من حيث الوضع، قسم لا يسوغ الابتداء به، ويسمى: متصلا، وقسم يسوغ في ذلك ويسمى منفصلا.[5]

ويقسم الضمير حسب موقعه في الكلام إلى بارز ومستتر.

ولهذا يرى "آن روبول" أن للضمائر نتائج متعددة:

---

1 – يُنظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص82.

2 - آن روبول وجاك موشلر، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (دط)، 2010، ص374.

3 – أبو فارس الدحاح، شرح ألفية بن مالك، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004، ص34.

4 – الأزهر الزناد، المرجع السابق، ص 177.

5 – السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 116.

– ضمائر المتكلم وضمائر المخاطب، يمكن تعيينها مباشرة، فهي تؤدي دور التواصل بخلاف ضمائر الغائب، لايمكن تعيينها فهي تمثل عددا لا متناهيا من الأفراد.

– يحل ضمير المتكلم محل ضمير المخاطب والعكس بالعكس أثناء الخطاب.

– ضمير الغائب هو الوحيد الذي يمكن استعماله في الدلالة على الجوامد.

1– ضمائر المتكلم:

ضمائر المتكلم لا تحيل إلا على صاحب القول، فهي تحيل إلى المرسل الذي يعتبر "الذات المحورية في الخطاب، لأنه هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه.

فالمتكلم حين يملك اللغة ويتحكم فيها فهو يجعلها من إمكانياته، وينصب نفسه في مرتبة عالية ضمن العملية التخاطبية.

وتنقسم ضمائر المتكلم إلى:

أ– **ضمائر المتكلم المنفصلة:**

– **أنا للمفرد:** ويكون دائما في محل رفع.

– **نحن للجمع:** وتكون في محل رفع، وأمثال ذلك كثيرة في الخطاب القرآني.

– **إياي للمفرد:** "إيا وحدها هي الضمير وهو مبني على السكون ويكون دائما في محل نصب، وما بعد "إيا" يوضح المراد منها: متكلما أو مخاطبا أو غائبا أو مثنى أو مجموعا" [1].

– **إيانا للجمع:** وتكون في محل نصب.

1 – محمود سليمان ياقوت، النحو التعليمي والتطبيقي في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الكويت، (دط)، 2011، ص154.

ب- ضمائر المتكلم المتصلة:

الضمير المتصل يلحق بآخر الكلمة وهو جزء منها، لا يكون في صدر الكلمة أو في صدر جملتها ولا يجوز أن يفصل بينهما – في حالة الإختيار- فاصل كحرف العطف أو الاستثناء أو تابع[1].

والضمير المتصل هو ما لا يفتح به النطق، ويشمل باللفظ فعلا نحو: سألتمونيها، أو اسما نحو: كتابنا، أو حرفا نحو: لكما[2].

ج- ضمائر المتكلم المستترة:

يعود مرجع الضمائر المستترة إلى جماعة من المتكلمين، دون تعيين شخص معين، لذلك فإن معناها يتغير في كل خطاب غير محدد بدقة. فهي عند "بنفينيست" أشكال فارغة دون مضمون ما دامت لم تدخل في السياق، لكن هذه الأشكال أو الصيغ تجد لنفسها محتوى انطلاقا من لحظة تلفظ الفرد بها ضمن حال الحديث.

2- ضمائر المخاطب:

تستخدم ضمائر المخاطب في اللغة العربية للدلالة على الحضور والغياب المقامين. فالمتكلم حاضر في البنية باللزوم والمخاطب حاضر بالاقتضاء، والبنية دون اقتضائها لا وجود لها[3].

لذلك فإن ضمائر الخطاب ببنيتها تدل على حدث الخطاب، وأن استحضار المخاطب يساهم في حركية الخطاب. وهي كالآتي:

---

1 - أبو فارس الدحداح المرجع السابق، ص 35.

2 - ينظر: جميل أحمد ظفر، النحو القرآني قواعد وشواهد، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، ط2، 1998، ص 87.

3 - نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي، تونس، (دط)، 2009، ص 243.

- **الضمير المنفصل أنت:** وهو الذي يُحيل إلى مرجع معروف يكمن في المفرد المخاطب.

- **ضمير الجمع أنتم:** وهو عنصر إشاري يُحيل على مرجع حاضر وقت التلفظ.

3- ضمائر الغائب:

ضمائر الغائب أكثر الضمائر غموضا وحاجة إلى مرجع يفسرها، ويوضح المراد منها، لذا اشترط النحاة ذلك بقولهم:" لكل ضمير غيبة مرجع يعود إليه، متقدم عليه إما لفظا ورتبة، وإما لفظا وأما رتبة:(قَابلَ خالِدٌ جارَهُ، قابل خالداً جارُهُ، قابل جارَهُ خالِدٌ) ولا يقال:(قابل جارُهُ خالداً) لأن الضمير حينئذ يعود على متأخر لفظا ورتبة. وقد يعود على متقدم معنى لا لفظا.[1]

وضمائر الغيبة تنقسم إلى قسمين: شخصية وموصولية.

أما الشخصية فتتمثل في ضمائر الغائب (المفرد المذكر، المفرد المؤنثة، المثنى (المؤنث والمذكر)، وللجمع المذكر والمؤنث).

و أما الموصولية فتتجلى باستخدام الأسماء الموصولة المفردة: مذكر/ مؤنث (للمثنى)، مذكر مؤنث (للجمع).[2]

نستنتج أن للضمائر دور هام في تحقيق الترابط في النص اللغوي، فعودها إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه، لذلك اشتغل النحاة في البحث في بنيتها لترسيخ سماتها التداولية، فأثبتوا من خلال ذلك ترتيبا للضمائر قام على تقديم المتكلم على ضمير المخاطب وتقديم كليهما على الغائب، وما من أولية للمتكلم، وما بين المتكلم والمخاطب من تقارب.[3]

1 - سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان، (دط)، 2003، ص 105-106.

2 - فاضل مصطفى الساقي، أقسام الكلم العربي من حيث الشكل والوظيفة، دار العلوم، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1977، ص 245.

3 - ينظر: نرجس باديس، المرجع نفسه، ص 239.

4- النداء:

وهو من العناصر الإشارية التي تقوم بتنبيه المنادى أو استدعاء شخص معين، عن طريق استعمال أدوات النداء مذكورة أو محذوفة، فالنداء هو ضميمة اسمية تشير إلى المخاطب لتنبيهه أو استدعائه[1].

والذي يظهر من النداء أنه كسائر العناصر الإشارية السابقة، لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه في الخطاب. وأدوات النداء هي:(يا، أيا، هيا، أي، الهمزة)، والياء أكثر هذه الأدوات استخداما ينادي بها القريب والبعيد.

1 – محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 19.

ثانيا: الإشاريات الزمانية.

يعتبر الزمان عنصراً هاماً لبناء تصور السياق، إذ يؤثر بشكل جلي على الاختيارات اللغوية للمتكلمين، فإدراك لحظة التلفظ هي مرجع السامع لتأويل صحيح، كما تخضع الاستعمالات اللغوية مكان تواجدها الوظيفي.

" فعملية البحث عن الزمان هو الكشف عن الظروف التي تتجلى فيها مرجعيتها انطلاقا من خطاب المتكلم شفويا كان أم كتابيا، وكشفها مرتبط بشروط خاصة بالمتكلم وإحداثيات الزمان التي يصدر عنها الخطاب"[1].

تعد العناصر الإشارية الزمانية كلمات دالة على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان المتكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمنية في الكلام. فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ.

ويمكن تقسيم الزمان إلى: فصول، سنوات، أشهر، أيام، وساعات ... إلخ. وقد تستغرق هذه العناصر الإشارية مدة محددة من الزمان وقد يتسع مداها الزماني ويتجاوز الزمن المحدد له إلى زمان أوسع، فكلمة يوم في قولنا: بنات اليوم مثلا تشمل العصر الذي نعيش فيه، ولا تتحدد بيوم مدته أربع وعشرون ساعة، وكل ذلك بحسب السياق الذي نستخدم فيه هذه العناصر الإشارية إلى الزمان.[2]

فالزمن في اللغة العربية يكون عن طريق قرائن متجاورة مع الأفعال أو عن طريق ظروف الزمان التي تدعى بالمبهمات الزمانية. ولتحديد هذه المبهمات اقترحت فرانسواز أرمينكو هذا التصنيف:

1- المبهمات التزامنية: استعمالها ودلالتها يقترن بالحاضر.

1 - ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 105.

2 - محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 20.

2- المبهمات القبلية: زمنها انقضى وفات.

3- المبهمات البعدية: الزمن الذي لم ينقض بعد.

4- المبهمات الحيادية: زمنها غير محدد، ودعيت بهذا الاسم لأنها تخرج عن المبهمات المحددة بسبب اختلافها عنها.

	الظروف المبهمة	الظروف غير المبهمة
التزامنية	الآن	في ذلك الوقت، إذن
القبلية	الأمس، الأسبوع الماضي، قبل ساعات، منذ، قليل، اليوم	في ذلك اليوم، بعد مرور أسبوع، ساعات قبل ذلك
البعدية	غدا، في الأيام المقبلة، فيما بعد، بعد يومين، السنة القادمة	اليوم الموالي، السنة الموالية، بعد مرور يومين
الحيادية	اليوم، هذه الصائفة، هذا الصباح	في اليوم الآخر.

أ- الظروف المبهمة:

وهو ما دل على زمان غير محدود نحو : وقت، زمان، حين، زمن، وهو ما دل على قدر من الزمان غير معنيين، نحو: حين، وقت، وزمان.[1]

" كما صنفت "الآن" ضمن الظروف المبهمة، والتي يشار بها إلى حاضر الوقت، وتلخيص هذا أن الزمان الذي يقع فيه كلام المتكلم، فهو آخر ما مضى وأول ما يأتي من الأزمنة"[1].

1 - مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج1، مكتبة العصري، بيروت لبنان، ط1، 2003، ص 12.

فقد يتسع مدى العنصر الإشاري "الآن"، ويتعدى الزمان المذكور ليحيل على عصر بأكمله وبذلك فإن تحديد مرجعها يحتاج إلى تضافر الأبعاد اللغوية السياقية.

كما قد تستعمل الإشاريات الزمانية في الزمن المعدود، غير المعين بالعَلميَّة مثل "بعض" شريطة ألا يوجد ما يدل على أن الحدث مختص ببعض أجزاء ذلك الزمن.

ب- الظروف غير المبهمة:

وهي ما دل على وقت محدود نحو: يوم، ليلة، أسبوع، شهر، سنة، وأسماء الشهور والفصول ... إلخ، فأضيفت من الظروف المبهمة إلى ما يزيل إبهامه وشيوعه كزمان الربيع، ووقت الصيف.[2]

1- العناصر الإشارية الدالة على الزمان النحوي:

الزمن في اللغة والنحو ثلاثب: ماضي، مضارع، ومستقبل، وهذه العناصر تشمل الدلالة الزمنية لصيغ الأفعال: الماضي، والحاضر والمستقبل.

فالفعل الماضي يضع الحدث في نقطة زمنية سابقة على زمن المتكلم، بينما الفعل المضارع يضع الحدث في نقطة زمنية ليست سابقة على زمن المتكلم.[3]

وقد أضفت دراسة "بينفينيست" للزمن إلى تقسيمه أقساما ثلاثة، معتمدا على علاقة المتكلم بالزمن[4]:

1 - المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1991، ص 178.

2 - مصطفى الغلاييني، المرجع نفسه، ص 107.

3 - حورية رزقي، الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2006-2005 ، ص 24.

4 - ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 105-106.

– الزمن الطبيعي: يحس به الانسان ويدركه في حياته، ويختلف انقضاؤه من بيئة لأخرى، ويمتاز عن غيره من الأزمنة بالاستمرارية.

– الزمن التاريخي: بما أن الانسان جزء لا يتجزأ من البيئة التي ينتمي إليها، وبما أنه كائن حي تتعاقب عليه مجموعة من الأحداث، فيمكنه أن يؤرخ لحياته من بدايتها إلى نهايتها، وذلك على طريق الذاكرة لتأليف ما يدعى بالسيرة الذاتية.

ومن اللسانيين من يحاول إبعاد الزمن عن المرجعية، إذ يؤكد "بنفينيست" أن الأحداث ليست هي الزمن، لكنها متضمنة فيه، بينما "أركيوني" تقول:" إن الزمن هو حصر حدث ما في محور الأزمنة بالنسبة لوقت معتمد كمرجع.[1]"

– زمن الحدث: الزمن اللغوي، وهو المراد في هذه الدراسة، وقد أطلق عليه "بينفست" مصطلح (زمن الحدث)، أو زمن الخطاب حسب " تودوروف"، وهو البحث عن تمثيلية الزمن في ارتباطه مع لحظة الحديث، ويتجلى زمن الحديث في الحاضر الذي يشكل مرجعيته، أما الماضي والمستقبل فمتعلقان به.

يعبر الزمن التاريخي عن الزمن الماضي، أما الزمن الحديث أو الخطاب، فيمكن أن يقع في أية نقطة من الزمن التاريخي، وبذلك يمكن أن نجعل زمن التاريخ إلى الخلف وزمن الحديث إلى الأمام. فالزمن الحديث يعتبر حدا فاصلا بين الزمن الماضي والحاضر، وعليه لا تجعل اللغة الزمنيين في المستوى نفسه، لأن كلا منهما يعبر عن فترة زمنية معينة، وأن الزمن في النحو هو وظيفة السياق، وليس وظيفة صيغة الفعل، لأن الفعل الذي صيغته فعل قد يدل في السياق على المستقبل، والذي على صيغة المضارع قد يدل فيه على الماضي[2].

1 – حورية رزقي، المرجع نفسه، ص 105.

2 – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب للنشر، ط5، (د.س)، ص 104.

2- أقسام الفعل ودلالته:

أ- **الفعل الماضي:** هو ما دل على حدث وقع في زمن مضى قبل زمن التكلم[1]. وعلامته أن يقبل تاء الفاعل كقرأت، وتاء التأنيث الساكنة، ويكون مبنيا على الفتح معلوما[2].

بحيث إن صيغة الفعل الماضي هي الأصل فمنه يصاغ المضارع، ومن المضارع يصاغ الأمر.

ب- الفعل المضارع: هو ما دل على حدث يقع في زمن التكلم أو بعده، وقد سمي مضارعا لمضارعة الماضي، بزيادة حرف من حروف (أنيت)[3].

ج- فعل الأمر: هو ما يطلب به حدوث شيء بعد زمن التكلم. ويصاغ فعل الّأمر قياس من المضارع المجزوم المعلوم[4].

إن لمؤشر الزمن دورا حاسما في كشف معاني الخطاب اللغوي، إذ أن الجهل به يؤدي إلى التباس المعنى على القارئ، فالزمن يحدده السياق الذي تستخدم فيه إشاريات الزمان، فالزمن في تصور "أندري لالاند"" هو ضرب من الخيط المتحرك الذي يحرك الأحداث على مرأى من ملاحظ هو أبدا في مواجهة الحاضر، وهو مظهر وهمي يزمّن الأحياء والأشياء، فتتأثر بمضيه الوهمي غير المحسوس.

1 - أحمد مختار عمر وآخرون، النحو الأساسي، دار السلاسل، الكويت، ط4، 1994، ص 175.
2 - محمد علي السراج، الباب في قواعد اللغة والأدب، تح: خير الدين باشا، دار الفكر، دمشق، ط1، 1982، ص 15.
3 - محمد علي السراج، المرجع نفسه، ص 15
4 - مصطفى الغلاييني، المرجع السابق، ج1، ص 12.

فالزمن صار ظاهرة تحمل دلالات متنوعة رمزية أو كونية أو فلسفية، ولم يعد ذلك الزمن التقليدي المرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل، بل اتسع لمجالات نفسية وذهنية، على مستوى الذات، وليشمل الذاكرة التاريخية، وامتدادات المستقبل للجماعات والأمم[1].

1 – فوغال باديس، الزمن ودلالته، مجلة العلوم الانسانية، دورية علمية محكمة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد2، جوان 2002، ص 52.

ثالثا: الاشاريات المكانية.

وهي عناصر تشير إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم ووقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو وجهة. ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل: هذا، ذاك، هنا، هناك، ونحوها إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه، فنجد أن الإشاريات المكانية تختص بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقا من الحقيقة القائلة إن هناك رئيستان للإشارة إلى الأشياء هما:

إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى[1].

تعد الإشاريات المكانية من بين العناصر اللغوية التي تقتضي الإلمام بمعناها معرفة سياق التلفظ، لأن مرجعها غير ثابت ولا محدد، ويكمن دورها في الإحالة على مرجع مكاني، فهي عناصر إشارية إلى أماكن، يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع[2].

وتجدر الإشارة إلى أن أكثر الإشاريات المكانية وضوحا هي كلمات الإشارة[3]، نحو: هذا، هذه، ذلك، ذاك،.. وغيرها من الإشارات الدالة على قريب أو بعيد، وكذلك هنا وهنالك، وسائر ظروف المكان، نحو: فوق، تحت، أمام، خلف، شمال ...إلخ، فكلها عناصر إشارية لا يتحدد معناها إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه، كما أن تحديد مرجع العنصر المكاني مرتكز على تداولية الخطاب، فلا يمكن للمتكلم أن يتخلى عن المكان عند تلفظه بالخطاب.

1 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 84.

2 – محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 21.

3 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب مقاربة تداولية، ص 84.

1- الإشاريات المكانية الظرفية:

ظرف المكان هو اسم للدلالة على مكان وقوع الفعل، ومن منظور علم التراكيب تتوزع المبهمات المكانية إلى قسمين: أسماء الإشارة كمبهمات حقيقية مصاحبة لإشارات المتحدث (هذا، هذه، هؤلاء ...) والظروف التي تتنوع إلى أنظمة صغير متقابلة من قبل هنا /هناك، يسار /يمين، خلف/أمام ...[1]

وتساعد الإشاريات المكانية في تحديد المكان من حيث نوعيته، وهذا ماذهبت إليه "أركيوني" بقولها:" يمكن النظر إلى الإطار المكاني من خلال مظاهره الفيزيائية البحتة، تحديد المكان من حيث كونه مغلقا أو مفتوحا عاما أو خاصا، واسعا أو ضيقا ... وكيف يتم التخاطب وجها لوجه، جنب لجنب والمسافة الفاصلة بينهما ..."

فمؤشرات المكان هي عناصر للإشارة إلى أماكن محددة، فمن مميزات الإشاريات المكانية التسمية أو الوصف من جهة، أو تحديد أماكنها من جهة أخرى، وفي هذا يقول "عبد السلام المسدي:" ليس الكلام متعاملا فحسب مع عنصر المكان و إنما هو حبيس سياجه"[2].

فلا يكتمل الخطاب، إلا بتحديد المواقع ومعرفة المرجع المكاني.

قد يكون الأساس التداولي الحقيقي للتأشير المكاني تباعداً نفسيا، يميل المتكلم إلى معاملة الأشياء البعيدة ماديا على أنها بعيدة نفسيا، مثل "ذلك الرجل هناك". مع ذلك، قد يرغب المتكلم في جعل شيء قريب ماديا مثل " عطر استنشقه" بعيدا نفسيا بقوله:" لا أحب ذلك العطر. وفقا لهذا التحليل، فإن كلمة مثل ذلك لا تملك معنى دلاليا ثابتا ولكنها تشبع معنى ما

1 - ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 156-155.

2- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار العربية للكتاب، ليبيا، ط 2، 1986، ص 248.

في سياق المتكلم، حيث يبدو أن عمليات نفسية مشابهة تؤدي دورا فاعلا في تمييزنا بين التعابير الأدنى والقصية التي تستعمل للإشارة إلى التأشير الزماني[1].

2- مؤشرات المكان:

وهي عناصر للإشارة إلى أماكن محددة، فمن مميزات الإشاريات المكانية التسمية أو الوصف من جهة، أو تحديد أماكنها من جهة أخرى، وفي هذا يقول "عبد السلام المسدي": ليس الكلام متعاملا فحسب مع عنصر المكان وإنما هو حبيس سياجه."[2]

فلا يكتمل الخطاب، إلا بتحديد المواقع ومعرفة المرجع المكاني، وبذلك فإنه لا بد من الاستعانة بالسياق اللغوي والمقامي لمعرفة ما إذا كان الملفوظ يحيل على المكان أم لا.

وخلاصة القول وانطلاقا مما تناولناه سالفا أن العلاقة بين الزمان والمكان، مرتبطة بالحديث عن علاقة المخاطب بالوضعية التواصلية، وبالسياق الذي يجري في الخطاب فالزمان والمكان كل منهما يكمل الآخر، ومن ثم لا وجود لأحدهما دون الآخر.

1 - جورج يول، التداولية، دار العربية للعلوم ناشرون،تر: قصي العتابي، ط1، المغرب، 2010، ص 33.

2 - عبد السلام المسدي، المرجع نفسه، 1986، ص248.

رابعا: الاشاريات الاجتماعية.

وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة ألفة ومودة. والعلاقة الرسمية يدخل منها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر سنا ومقاما من المتكلم، كاستخدام "أنتم" للمفرد المخاطب، و"نحن" للمفرد المعظم لنفسه، وهي تشمل أيضا الألقاب مثل: فخامة الرئيس، جلالة الملك، سمو الأمير، كما تشمل أيضا: السيد، السيدة، الآنسة. ويدخل فيها أيضا: حضرتك وسيادتك، وسعادتك وجنابك[1] ... كما تتحدد العلاقة الاجتماعية بين المتخاطبين من خلال العلامات اللغوية والسياق الذي ترد فيه.

يحدد "مايكل هاليداي" ثلاثة أبعاد للموقف الكلامي على النحو الآتي:

– المجال: ويريد به موضع الحدث اللغوي وهدفه، أي ماذا يقال؟ ولماذا؟ قد يكون الموضوع مثلا عن عمل تجاري يريد المتكلم القيام به، فيتحدث عنه ليغري مخاطبه بالاشتراك معه، ويكون عن تعاطي المخدرات، ويهدف المتكلم إلى تحذير المخاطب عن تعاطيه ...الخ.

– القناة: ويقصد بها وسيلة الاتصال. قد تكون منطوقة أو غيرها من الوسائل.

– العلاقة: ويقصد بها ما بين المتكلم والمخاطب من روابط، قد يكون المتكلم صديقا للمخاطب، وقد يكون مسؤولا له في العمل، أو يكون المتكلم صاحب سلطة دينية، وبتعبير آخر إلى من يوجه الخطاب اللغوي وكيف تكون نظرة المتحدث إلى مخاطبه[2].

ويذهب "ستيفن ليفنسون" إلى أن هناك نوعين أساسيين من المعلومة الإشارية الاجتماعية التي يبدو أنها تشفر في العالم كله: معلومة علاقية ومعلومة مطلقة. والتأشير العلاقي هو الأهم وتعبر عنه بشكل نمطي العلاقات الآتية[1]:

1 – محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 25.

2 – محمد حسن عبد العزيز، علم اللغة الاجتماعي، مكتبة الآداب، ط1، مصر، القاهرة، 2010، ص 273.

- بين متكلم ومحال إليه، مثلا: (صيغ التأدب. المحال إليها).

- بين متكلم وحاضر، مثلا: (صيغ التأدب. للمخاطب)-

- متكلم موقف، مثلا: (صيغ التأدب للحضور والمستمعين).

وتوجد صور علاقية تخص القرابة التبعية القبلية، التي تقدم في كل مجتمع وهذه العلاقات تتشكل في اللغة بألفاظ معينة تدل على ذلك.

فالمتكلم يسلك طريقة خطابية مع غيره بحسب مواقف اجتماعية وأنشطة إنسانية متعددة تحدد نمط الأسلوب اللغوي الذي يختاره ونوعية الكلمات التي يختارها. فهناك صلة وثيقة بين العلاقات الاجتماعية والألفاظ التي يختارها لتكون معبرة عن تلك العلاقة.

وقد لاحظ "ديل هايمز" أن العلاقة بين المتكلم والمخاطب تتضمن غير بُعد واحد، ومن أهمها[2]:

- بعد القوة أو السلطة، التي يباشرها المتكلم على المخاطب أو العكس، فقد يكون أحدهما أقوى من الآخر نفوذا أو مساويا له أو أدنى.

- التلاحم وهو يحدد وفقا لدرجات العلاقة بين المتكلم والمخاطب، فقد تكون وثيقة أو حميمية وقد تكون بعيدة أو ضعيفة.

- الجنس، فقد يكون أحدهما رجلا أو امرأة.

من هنا تظهر العلاقة بين علم الاجتماع والتداولية، ولكن هناك من يخشى الخلط بين الإشارة الاجتماعية وبعلم اللغة الاجتماعية، لذلك يريد أن يستبعد معالجة الإشارة الاجتماعية من البحث اللغوي، لأنه بالإمكان أن يوضع حد فاصل بين مسائل إشارية ومسائل لغوية

1 - ستيفن ليفنسون، البراجماتية اللغوية، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، 2015، ص 131.
2 - ينظر: محمد حسن عبد العزيز، المرجع نفسه، ص 273.

اجتماعية؛ فالمسائل الإشارية الاجتماعية تُعنى تحديدا بالتشكل النحوي للمعلومة الاجتماعية أو تشفيرها في البنية اللغوية، في حين أن علم اللغة الاجتماعي يُعنى أيضا وربما بشكل أساسي بمسائل الاستعمال اللغوي. وتُعنى دراسة الإشارة الاجتماعية بالمعنى والنحو لألفاظ لغوية محددة، في حين أن علم اللغة الاجتماعي يُعنى بمسألة كيف تستعمل هذه الظواهر حقيقة، وذلك في سياقات اجتماعية محددة، تُصنف بالنظر إلى مقاييس النظام الاجتماعي ذات الصلة. وبذلك يتمكن الباحث أن يقصر الإشارة الاجتماعية بشكل منظم على دراسة الوقائع التي توجد بشكل ثابت داخل مجال الدراسات التركيبية لأنظمة لغوية، ومن ثم ترك دراسة الاستعمال اللغوي لفرع جزئي آخر.

خامسا: الاشاريات الخطابية.

تختص الإشاريات الخطابية باستعمال ألفاظ في منطوق للإحالة إلى جزء من الخطاب المتضمن المنطوق. ونستطيع أن نصنف تحت الإشارة الخطابية بعض أنواع أخرى أيضا، مثل منطوق يشير إلى صلته بالنص المحيط به؛ مثل قولنا:

(على أية حال) التي نبدأ بها منطوقنا، تشير إلى المنطوق الذي يضمها، لا يخص الخطاب المتقدم مباشرة، بل خطوة أو خطوتين قبل ذلك، وعلل "ليونز" دخولها في ضمن الإشاريات لكونها قارة في مكان الخطاب للمنطوق الجاري، لها نسبة إحالية فارقة[1].

ولما كان الخطاب ينبسط في الزمان، فإنه من الطبيعي أن المتكلم يستطيع أن يستعمل ألفاظه إشارة إلى الزمن للإحالة إلى فقرات خطابية؛ لذا لدينا قياس على الأسبوع الأخير والخميس القادم، إذن في الفقرة الأخيرة، أو الفصل الماضي من الكتاب أو النص الماضي[2].

وقد توظف ألفاظ الإشارة المكانية للإشارة إلى فقرة خطابية فيقال: (هذا النص) و(أراهن على أنك لا تعرف تلك القصة) للإشارة إلى قرب النص أو القصة. وكل هذا يجري على وفق سياق معيّن في مقام تواصلي.

قد تلتبس اشاريات الخطاب بالإحالة إلى سابق أو لاحق، لذلك أسقطها بعض الباحثين من الإشاريات، ومنهم من ميز بينهما فرأى أن الإحالة يتحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما تشير إليه مثل: "زيد طالب وهو من الطلبة المجدين" فالمرجع الذي يعود إليه الاسم (زيد) والضمير المنفصل (هو) واحد، أما إشاريات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع بل تخلق مرجعا جديدا، كأن تروى قصة ثم تذكرك بقصة أخرى[3].

1 – ستيفن ليفنسون، المرجع نفسه 126.

2 – ينظر: ستيفن ليفنسون، المرجع السابق، ص 126

3– محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 24.

وهناك كلمات كثيرة واستعمالات كلامية، تشير إلى العلاقة بين المنطوق والخطاب المتقدم، وأمثلة ذلك: (لكن، بل، لذلك، نتيجة لذلك، وفي مقابل: ومع ذلك، وعلى أية حال، وهكذا، وقضلا عن ذلك، وفي الواقع، وعلى الجملة، ولذا، وأخيرا ... الخ) .

لكن هناك إشاريات تعد من خواص الخطاب، وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى **موقف خاص بالمتكلم**، فقد يتحير في ترجيح رأى على رأى أو الوصول إلى مقطع اليقين في مناقشة أمر فيقول: ومهما يكن من أمر، وقد يحتاج أن يستدرك على كلام سابق أو يضرب عنه فيستخدم **لكن أو بل**، وقد يعن له أن يضيف إلى ما قال شيئا آخر فيقول فضلا عن ذلك، وقد يعمد إلى تضعيف رأي فيذكره بصيغة التمريض **قيل** وقد يريد أن يرتب أمرا على آخر فيقول من ثم...الخ[1].

1 - محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 25-24.

الفصل الثاني: الاشاريات في الخطاب القرآني، نماذج مختارة.

أولا: الإشاريات الشخصية في آيات من سورة البقرة، المائدة، ق، النور، القصص ويونس.

ورد في سورة البقرة الآيات الآتية. قال تعالى:" ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ"[1]. وقوله تعالى:" إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيهِم ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ."[2]

وقوله أيضا:" يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ."[3]

ففي الآية الأولى ورد الضمير في قوله (رزقناهم)، والضمير هو (نا) والمرجع الذي يعود إليه هو (الله) الواحد الأحد، وهذا دلالة على عظمته جل ثناؤه.

لكن هذا ما اختلف فيه "بنفنيست" الذي يرى أن هناك تطابقا بين "أنا" و "نحن" في حال الخطاب، و "أركيوني" التي تعتقد عكس ذلك بقولها:" نحن لا يتطابق أبدا مع أنا الجمع، إلا في حالات شاذة كحال المحفوظات والغناء الجماعي". وأن توظيف نحن بمعنى أنا فنادر جدا، يتوقف على إرادة المتكلم"[4].

وفي الآية الثانية فقد ورد الضمير في قوله (أأنذرتهم)، والضمير هنا جاء متصلا (ت) وجاء مستترا وجوبا تقديره (أنت) في قوله تعالى (تنذرهم).

أما في الآية الثالثة ورد الضمير مستترا جوازا تقديره (هو) في قوله (يخطف).

---

1 – سورة البقرة، الآية: 03.

2 – سورة البقرة، الآية: 06.

3 – سورة البقرة، الآية: 20.

4 – ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، الجزائر، (د. ط)، 1988، ص 100.

1- ضمائر المتكلم:

بما أن سورة البقرة وحي سماوي منزله الله سبحانه وتعالى، فإن متلقيه الأول هو النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومن ثم أغلب الضمائر تحيل إلى: الله سبحانه وتعالى، الرسول صلى الله عليه وسلم، المؤمنون، المنافقون، المشركون.

أ- ضمائر المتكلم المنفصلة:

- **أنا للمفرد:** مثل قوله تعالى:" إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم.**"**

تضمنت الآية الكريمة الضمير المستتر وجوبا تقديره: أنا، والضمير المنفصل (أنا) الذي يشير إلى الله سبحانه وتعالى. ومعنى هذه الآية هو "بيان في شأن أهل الكتاب الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى، وحملة عنيفة عليهم، مع فتح باب التوبة، لمن يريد أن يتوب، فأما الذين يصرون على الكفر فيعدهم اللعنة الجامعة، والعذاب الشديد الدائم"[1].

وفي قوله أيضا:" أَلَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ اَلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ اَلَّذي يُحْيِ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِ وأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بالشَّمْسِ مِنَ اَلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ اَلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ اَلَّذي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّلِمِينَ."[2]

الملاحظ في هذه الآية أن الضمير المتكلم المفرد "أنا" ورد لينجز فعلا إخباريا، حين "قال النمرود الطاغية لإبراهيم عليه السلام: من ربك؟ قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، فقال النمرود: أنا أحيي وأميت"[1].

1 - سيد قطب،المرجع السابق، ص 148.

2 - سورة البقرة، الآية:160.

فالمرود هنا يعتز ويفتخر بنفسه، حيث وصف نفسه بالكمال، لذلك فإن الملفوظ خال من الصدق، لأن الكمال والملك لله عز وجل.

كما أن المرجعية اللغوية لضمائر المتكلم المفرد هنا تعود على النمرود بن كنعان من جبابرة كفار بابل في العراق بسبب إيتاء الله إياه الملك الذي أورثه الكبر والعتو، وقد تقرر من هذه الآية ثبوت انفراد الله بالألهية[2].

- **نحن للجمع:** وأمثال ذلك كثيرة، وعليه الآيات التالية:

قال تعالى:" وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي اَلْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ."[3]

وقال تعالى:" وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَطِينِهِم قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ."[4]

في هاتين الآيتين الكريمتين وصفا للمنافقين، الذين يتظاهرون بالإيمان والإسلام، والضمير "نحن" يشير إلى هؤلاء المنافقين.

كذلك قوله تعالى:" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي اَلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَالاَ تَعْلَمُونَ."[5]

نلاحظ أن الضمير "نحن" في هذا السياق يشير إلى الملائكة، فهم يعنون بذلك: أتجعل في الأرض من يعصيك ويخالف أمرك؟، فسؤالهم هذا كان على وجه المبالغة في تعظيم الله

---

1 - ينظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج1، دار الفكر، ط1، 1981، ص 25.

2 - وهبة الزحيلي وآخرون، الموسوعة القرآنية الميسرة، دار الفكر، ط 2، سوريا، دمشق، 2002، ص 44.

3 - سورة البقرة، الآية:11.

4 - سورة البقرة: الآية:14.

1 - سورة البقرة، الآية:30.

تعالى، فالعبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره أن يكون له عبد يعصيه"[1]. فالعنصر الإشاري "نحن" يخضع لإرادة المتكلم، وهو يعبر عن تقديس الملائكة لله عز وجل.

وعلى هذا، فإن ما يشترط توفره في العناصر الإشارية أن تكون العلاقة حقيقية بينها وبين مراجعها، لذلك أضاف فلاسفة اللغة شرط الصدق للإشاريات[2].

وورد في شواهد أخرى، قوله تعالى:" وَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الشِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ اَلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اِشْتَرِيهُ مَا فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ."[3]

وقال أيضا:" أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ اَلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ."[4]

وقال تعالى:" قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ."[5]

ورد في الآية الأولى قصة كل من الملكين (هاروت وماروت)، عندما كان يهود المدينة يسألون محمدا – صلى الله عليه وسلم– عن السحر فأنزل الله تعالى هذه القصة، وكان

2 – ينظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج2، ص 182.

3 – ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 18.

4 – سورة البقرة، الآية: 102.

5 – سورة البقرة، الآية: 133.

1 – سورة البقرة ، الآية: 139

نزولهما سببا لتبيان الفرق بين الحق الذي جاء به سليمان وأتم له الله به ملكه، وبين الباطل الذي جاء به الكهنة ليفرق بين المعجزة والسحر[1].

أما الضمير "نحن" فيحيل إلى (هاروت وماروت)، إذ ما يعلمان من أحد حتى ينصحاه ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله، فمن تعلم هذا السحر واعتقده وعمل به كفر، ومن تعلم عمله ثبت على الإيمان.

فالعنصر الإشاري "نحن" يعبر عن المثنى المتكلم، إذ ليس للمتكلم ضمير خاص به، لأنه داخل في ضمير الجمع مثل: قول الرجلين والمرأتين، نحن نمشي، فقد ربط بينهم هذا الضمير وجمعهم، كأنهم شيء واحد.

وفي الآية الثانية: يبين الله تعالى فيها قول بني يعقوب لما وصاهم بعبادة الله وحده لا شريك له، فالضمير أحال هذا إلى بني يعقوب.

ففي الآيتين السابقتين، العنصر الإشاري نحن أدى غرض التكلم مع الدلالة على الجمع.

وفي الآية الثالثة:" يقول الله تعالى مرشدا نبيه – صلى الله عليه وسلم– إلى درء مجادلة المشركين، أما في قوله تعالى: (ونحن له مخلصون) أي: نحن براء منكم كما أنتم براء منا، ونحن له مخلصون في العبادة والتوجيه.[2]

فالضمير "نحن" في الخطاب جمع بين (أنا وأنتم) أي بين الرسول – صلى الله عليه وسلم– وعباده المؤمنين، وهذا دلالة على التضامن في بنية الخطاب العميقة. لذلك يعد استعمال المرسل للضمير "نحن" دليلا على حضور الطرف الآخر أو استحضاره حتى لو كان غائبا

2 – يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الهدى، ج1، (د ط)، (د ت)، الجزائر، ص 158.

1 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 214.

عن عينيه[1]. وأنه لا يكفي ذكر الضمير لبيان المرجع المقصود، بل يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي استخدم فيه.

وقد قسمت "لاكوف" دلالة نحن إلى قسمين هما:

- نحن الشاملة.

- نحن القاصرة أو الحاصرة.

حيث يدخل لمرسل إليه في الصنف الأول، ويخرج من الصنف الثاني، ويدل كل من القسمين على التضامن مع اختلاف طفيف في الدرجة، فالأولى تتضمن قوة عاطفية لأنها تجمع بين المرسل والمرسل إليه، وكأنهما مرسل واحد. في حين يظهر المرسل في القسم الثاني وكأنه يمارس نوعا من السلطة والصلاحية.

- **إياي للمفرد:** نحو قوله تعالى:" يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ التِّي أَنْعَمْتُ عَلَيكُمْ وَأَوفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّى فَارْهَبُونِ.[2]"

وقوله أيضا:" وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُم وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِئَايَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَى فَاتَّقُونِ.[3]"

تضمنت الآيتان الضمير (إياي) الذي يشير إلى الله الواحد الأحد والمعنى الذي نفهمه من ظاهر الآية الكريمة هو لا ترهبوا غيري ولا تتقوا سواي.

وبالعودة إلى السياق الموقفي للآية نجد أن هؤلاء الذين يخاطبهم الله تعالى هم بني إسرائيل ، حيث ذكرهم بنعمته التي أنعمها عليهم ليدعوهم بعدها إلى الوفاء بعدهم معه[1].

2 - يُنظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 292.

3 - سورة البقرة، الآية:40.

1 - سورة البقرة، الآية: 41.

- **إيانا للجمع:** ورد في سورة يونس قوله تعالى:" وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُمْ مَّا كُنْتُمْ إِيَانَا تَعْبُدُونَ."[2]

وفي سورة القصص قوله تعالى:" قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ اَلْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ."[3]

نستنتج مما سبق ذكره أن ضمائر المتكلم المنفصلة قليلة جدا في سورة البقرة، لكونها ضمائر مستقلة الدلالة.[4]

ب- ضمائر المتكلم المتصلة:

الضمير المتصل يلحق بآخر الكلمة وهو جزء منها، لا يكون في صدر الكلمة أو في صدر جملتها ولا يجوز أن يفصل بينهما في حالة الاختيار فاصل كحرف العطف أو الاستثناء أو تابع.[5]

والضمير المتصل هو ما لا يفتتح به النطق، ويشمل باللفظ فعلا نحو: سألتمونيها، أو اسما نحو: كتابنا، أو حرفا نحو: لكما.[1]

---

2 - ينظر: سيد قطب، المرجع السابق، ص 66.

3 - سورة يونس، الآية:28.

4 - سورة القصص، الآية:63.

5 - يُنظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، (د ط)، 1994، ص 156.

1 - أبو فارس الدحداح، المرجع السابق، ص 35.

ونجد الضمائر المتصلة في قوله تعالى من سورة البقرة:" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِلأدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَفِرِينَ وَقُلْنَا يئَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهاَ رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوناَ مِنَ الظَّلِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْظُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُو وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ."[2]

ضمير المتكلم المتصل المكرر الذي ورد في هذه الآيات يعود إلى لفظ الجلالة (الله)، وهو ما اتصل بكلمة (قل(نا))، يبين الله عز وجل في الآيات قصة استخلاف آدم في الأرض والتحدث عن قصة الشجرة المحرمة، ووسوسة الشيطان باللذة ونسيان العهد بالمعصية، والصحوة من بعد السكر، والندم وطلب المغفرة. كما كانت الآيات تمهيدا عن استخلاف بني إسرائيل في الأرض بعد مَنِّ الله ثم عزلهم عنها.[3]

والملاحظ أن الضمائر المتصلة التي حددناها سابقا لا تكفي لتحديد المرجع الدقيق لها، لأنها تعود على المتكلم – الله تعالى – دون أن تقصد شخصا بعينه، فهي بحاجة إلى السياق النحوي والسياق المقامي لمعرفة مرجعها الحقيقي.

أما عن استخدام الضمير "أنا" دون ذكر اسم المتكلم، فيمكن أن يوصف بالاقتصاد النحوي، ما دامت عبارات صغيرة تؤدي معنى معين.[4]

ويمكن أن تحيل "أنا" على المتخاطبين وأناس آخرين، فيمكن أن أتحدث، ولكن باسم آخرين قصد تمثيلهم، أي أن القضية المطروحة مشتركة.

---

2 – يُنظر: جميل أحمد ظفر، النحو القرآني قواعد وشواهد، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1998، ص87.

3 – سورة البقرة، الآيات: 34-35-36.

4 – يُنظر: سيد قطب، المرجع السابق، ص 56-57.

1 – يُنظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 99.

ج- ضمائر المتكلم المستترة:

وردت ضمائر المتكلم المستترة في سورة البقرة، محيلة على جماعة المتكلميين في غالبها. نحو قوله تعالى من سورة البقرة:" وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىَ نَرَى اَللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ."[1]

ففي هذه الآية وما يليها ضمائر مستترة تدرك بالعقل، مقترنة بالأفعال المضارعة (لن نؤمن، نرى، نصبر، أعوذ، أكون). حيث يحيل الضمير المستتر في الفعل المنفي (لن نؤمن) إلى بني إسرائيل؛ حيث سمعوا كلام الله مع موسى عليه السلام فقالوا:" لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة[2]، فأخذتهم الصاعقة وماتوا جميعا، كذلك الأمر بالنسبة للضمير المستتر في الفعلين (نرى)، و (لن نصبر).

وفي قوله تعالى:" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اَللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ اَلْجَاهِلِينَ."[3]

يحيل الضمير المستتر في الفعلين (أعوذ – أكون) إلى المتكلم الذي يمثله النبي موسى عليه السلام، فنلاحظ من خلال الآيات أن الضمائر المستترة مرجعها جماعة المتكلمين، دون تعيين شخص معين، لذلك فإن معناها يتغير في كل خطاب غير محدد بدقة. فهي عند "بينفينيست" أشكال فارغة دون مضمون مادامت لم تدخل في السياق، لكن هذه الأشكال أو الصيغ تجد لنفسها محتوى انطلاقا من لحظة تلفظ الفرد بها ضمن حال الحديث.[4]

2 – سورة البقرة، الآية: 55.

3 – فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج3، ص 89.

1 – سورة البقرة، الآية:67.

2 – ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 98.

ولمعرفة مرجع الضمير المستتر، أن يكون: المتلقي حاضرا وقت التلفظ بالخطاب، كما هو في الآية:" وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ اَلْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَ ادْخُلُوا اَلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَيَاكُمْ وَسَنَزِيدُ اَلْمُحْسِنِينَ." فالله تعالى هو المتكلم حين أمر بني إسرائيل بدخول القرية، والمتلقي الأول هو الرسول صلى الله عليه وسلم.

أو أن يحيل الضمير إلى مرجع ذكر في الخطاب كما هو في الآية:" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ اَلْجَاهِلِينَ."

حين قال موسى عليه السلام:" أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين". وهذا يدل على أن الاستهزاء من الكبائر العظام.[1]

2- ضمائر المخاطب:

تستخدم ضمائر المخاطب في اللغة العربية للدلالة على الحضور والغياب المقامين، فالمتكلم حاضر في البنية باللزوم والمخاطب حاضر بالاقتضاء، والبنية دون اقتضائها لا وجود لها.[2]

لذلك فإن ضمائر الخطاب ببنيتها تدل على حدث الخطاب، وأن استحضار المخاطب يساهم في حركية الخطاب. وبعد قراءة الخطاب القرآني "سورة البقرة" نلاحظ ورود ضمائر المخاطب بجميع أصنافها منفصلة، متصلة، مستترة، ومن نماذجه قوله تعالى:" قَالُوا سُبْحَانَكَ

3 - فخر الدين الرازي، المرجع السابق، ج3، ص 126.

1 - نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي، تونس، (د ط)، 2009، ص 243.

لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ اَلْعَلِيمُ اَلْحَكِيمُ . " وقال أيضا:" وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ."

ورد في الآية الأولى الضمير المنفصل "أنت" بعد الضمير المتصل "الكاف"، وذلك في قوله تعالى: (إنك أنت)، فكأن الملائكة قالت: أنت العالم وأنت الحكيم في هذا الفعل[1]. فلو حذف العنصر الإشاري "أنت" لبقي القول سليما لغويا، فالضمير المتصل لغويا يغنينا عنه.

أما في الآية الثانية وفي قوله تعالى: (أسكن أنت وزوجك) فقد ورد الضمير المنفصل "أنت" الذي يحيل إلى مرجع معروف يكمن في المفرد المخاطب آدم عليه السلام، وجاء تأكيد المستكن في أسكن ليصح العطف عليه[2].

فالله سبحانه وتعالى إمر في هذه الآية آدم عليه السلام وحواء بأن يسكنا الجنة فأبيح لهما بأكل الثمار، إلا من شجرة واحدة ربما كان رمزا للمحظور الذي لابد منه في حياة الأرض، فبغيره تنعدم الإرادة ولا يتميز الإنسان من عالم البهيمة.[3]

فقد استعمل ضمير المخاطب الذي يحيل على آدم عليه السلام والذي سبق وأن أشير إليه في قوله تعالى: (ياآدم)، وبذلك فإن القارئ للآية الكريمة تسهل عليه معرفة المشاؤ إليه، لأن المرجع مذكور في الخطاب، وهو ما يعرف بالإحالة القبلية.

كما ورد ضمير الجمع المخاطب "أنتم" في سورة البقرة" وهو عنصر إشاري يحيل على مرجع حاضر وقت التلفظ ومن نماذجه، قوله تعالى:" يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الذَّي خَلَقَكُمْ

2 – فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ص 238.

3 – الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيوب الأقاويل في وحوه التأويل، ج1، تح: عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998، ص 254.

1 – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 58.

والذَّينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الذَّي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

الآية الكريمة فيها نداء إلى الناس كافة، فالله تعالى يخاطبهم لعبادته وحده، فهو خالقهم ورازقهم.

وفي قوله أيضا:" وَلاَ تَلْبِسُوا اَلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ."[1]

في الآيات يوجه السياق بني إسرائيل، الذين يكتمون الحق ويعلمون الفتن في المجتمع الإسلامي فالقرآن يدعوهم إلى الصلاة، والزكاة، وترك العزلة والتعصب.[2]

تنوعت في الآيات العناصر الإشارية بين منفصلة ومتصلة والتي تحيل إلى مرجع واحد، كما نلاحظ أن العناصر الإشارية جاءت للدلالة على الجمع، ولذلك فهناك تلازم بين المتكلم والمخاطب فهما من أبرز العناصر السياقية التي تنتج الأدوار التخاطبية.[3]

وأنه لا يقتصر الأمر على دور كل من طرفي الخطاب بمعزل عن الطرف الآخر، أو بمعزل عن محيطهما، فهناك العلاقة بينهما والعرفة المشتركة وغير ذلك من العناصر المؤثرة.[4]

كما يستعمل الضمير **أنتم** لمخاطبة المفرد إذا كان ذا مرتبة أعلى، نحو قوله تعالى:" فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

2 – سورة البقرة، الآيات: 42–43–44.

3 – ينظر: سيد قطب، المرجع السابق، ص 68.

1 – نرجس باديس، المرجع السابق، ص 234–235.

2 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، ص 48.

إذ لم يقل: لك، فقيل: لكم، تحويل المخاطبة من الإفراد إلى الجمع تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وإجلاله، فمن حقه صلى الله عليه وسلم على أمته أن يُهاب ويُعظم ويُوقر ويُجل، ففي القرآن الكريم آيات كثيرة جاءت فيها التأكيد على هذا الحق، وبخاصة في جوانب معينة من جوانب تعظيمه، ومن تلك الآيات قوله تعالى في سورة النور:" لاَ تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضَا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ."[1]

وقد يرد الضمير "**أنت**" فيشير إلى المشتركين في الخطاب، يعتبرون أنفسهم ذوي علاقة حميمة من ناحية تكرار التواصل، القرابة ...إلخ.[2]

كما في قوله تعالى في سورة البقرة:" وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا مِنَّا إِنَّك أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أَمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يِتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِكَ ويُعَلِّمُهُمُ الْكِتَبَ والحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهم إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ."[3]

ففي بداية الآيات تعبير يبدأ بصيغة الخبر وكأنها حكاية تحكى، إذا بالسياق يكشف ويرينا الصيغة التي جاء بها. إنه الدعاء ونعمته، وكأن الحدث الغائب صار حاضرا يسمع ويرى.[4]

3 – سورة النور، الآية: 63.

4 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 288.

1 – سورة البقرة، الآيات: 127-128-129.

2 – ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 114.

ضمائر المخاطب في الآيات جاءت بين المخاطب المتصل والمخاطب المنفصل، والمخاطب المستتر، كلها تحيل إلى مرجع واحد هو الله تعالى، كما أسهمت بشكل فعال في اتساق النص القرآني، وربط أجزائه بعضها ببعض، ولما كان ضمير المتكلم والمخاطب يرجعان إلى المشاركين في عملية التخاطب، فإن مهمة تحديد ما يشيران إليه عملية سهلة عادة، لعدم إمكان اللبس فيها، ولكن الصعوبة قد تكتنف عملية إحالة ضمير الغائب إلى صاحبه، لأنه عارٍ عن المشاهدة، فاحتيج إلى عود الضمير ما يفسره.[1]

3- ضمائر الغائب:

ضمائر الغائب أكثر الضمائر غموضا وحاجة إلى مرجع يفسرها، ويوضح المراد منها، لذا اشترط النحاة ذلك بقولهم:" لكل ضمير غيبة مرجع يعود إليه، متقدم عليه إما لفظا ورتبة، وإما لفظا وإما رتبة:(قَابَلَ خَالِدٌ جَارَهُ، قَابَلَ خَالِدًا جَارُهُ، قَابَلَ جَارَهُ خَالِدٌ) ولا يقال: (قَابَلَ جَارُهُ خالِدًا) لأن الضمير حينئذ يعود على متأخر لفظا ورتبة. وقد يعود على متقدم معنى لا لفظا، مثل قوله تعالى في سورة المائدة:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ."[2]

فالضمير هو يعود إلى العدل المفهوم من قوله اعدلوا. وقلما يعود إلى غير مذكور لا لفظا ولا معنى، ولا يكون ذلك إلا عند قيام قرينة لدى السامع على المقصود منه.[3]

تنقسم ضمائر الغائب إلى قسمين: شخصية وموصولية.

---

3 – نائل محمد إسماعيل، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الأزهر، غزة، غدد 1، 2011، ص 09.

1 – سورة المائدة، الآية: 08.

2 – سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 2003، ص 105-106.

أما الشخصية فتتمثل في ضمائر الغائب (المفرد المذكر، المفردة المؤنثة، المثنى المؤنث والمذكر، وللجمع المذكر والمؤنث).

وأما الموصولية فتتجلى باستخدام الأسماء الموصولة المفردة: مذكر/ مؤنث (للمثنى)، مذكر/ مؤنث (للجمع).[1]

بعد التطلع على ضمائر الغائب، يظهر أنها كثيرة مقارنة بضمائر (المتكلم والمخاطب) في سورة البقرة، سنحاول تحديد بعضها علما أن تحديدها يقتضي الاستعانة بمرجعيته.[2]

ففي قوله تعالى:" فَقُلْنَا اَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اَللَّهُ اَلْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَاَلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ اَلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ اَلأَنْهَرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ اَلْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُم يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ."[3]

تضمنت هذه الآيات العناصر الإشارية الدالة على المفرد/ الجمع الغائب (منفصلة، متصلة، مستترة)، مما جعلها نسيجا موحدا عن طريق الإحالة بها خارج النص أو داخله.

- الضمائر المنفصلة: هم.
- الضمائر المتصلة: في الألفاظ: (اضربوه، ببعضها، فهي، عقلوه).
- الضمائر المستترة: في الألفاظ (يريكم، آياته، يشقق).

3- فاضل مصطفى الساقي، أقسام الكلم العربي من حيث الشكل والوظيفة، دار العلوم، القاهرة، مصر، (د ط)، 1977، ص 245.

4 - ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 159.

1 - سورة البقرة، الآيات: 73-74-75.

في الآيات تذكير بني إسرائيل بأنعم الله عليهم وجحودهم لهذا الإنعام المتواصل، وباستعراض مشاهدة الإنعام والجحود، بعضها باختصار، وبعضها بتطويل، انتهى هذا الاستعراض بتقرير ما انتهت إليه قلوبهم في نهاية المطاف من قسوة وجفاف وجدب، أشد من قسوة الحجارة وجفافها وجدبها.[1]

ضمائر الغائب المفرد التي وردت في الآيات تشير إلى مراجع هي: الله تعالى، القتيل الذي ذبحت من البقرة من أجله، وكل تلك الضمائر قد أحالت إلى خارج النص.

يطول الحديث عن بني إسرائيل في الآيات حتى يلتفت السياق إلى مواجهتهم، وذلك باستعمال ضمائر الغائب، منها للإحالة إلى داخل النص القرآني، ففي قوله تعالى:" أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اَللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ."[2]

فالضمير المتصل (الهاء) يحيل على كلمة سابقة وهي الكلام.

وأما عن الإحالة بنوعيها الخارجية والداخلية فمهما تعددت أنواعها فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع.[3]

والمتأمل في الآيات الكريمة، يرى أن هناك عناصر إشارية إخرى عملت على تحقيق الرابط بين مكونات الجملة وهي (الأسماء الموصولة) والاسم الموصول هو إسم لا يصير جزءا تاما من الكلام من مسند إليه إلا مع صلة وعائد.[4]

2 – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 83.

3 – سورة البقرة، الآية: 75.

1 – الأزهر الزناد، نسيج النص، ص 119.

2 – ابن كمال باشا، أسرار النحو، تح: أحمد حسن جامد، دار الفكر، نابلس، لبنان، ط2، 2002، ص 181.

بمعنى أن الاسم يكون تاما في أصله فيضم إليه ما يتممه، ويسمى الموصول موصولا لأنه مربوط بالصلة، غير مستقل بنفسه، حيث نجد الأسماء الموصولة تساهم في تحقيق انسجام الخطاب القرآني، بأدائه التواصلي المبهر مع ما يثيره في نفس المتلقي من الجمال، وذلك باستحضار العلاقات المتشابكة التي تدخل فيها مع مكونات تداولية.

كما نستنتج أن للضمائر دور هام في تحقيق الترابط بين النص القرآني، فعودها إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه، لذلك اشتغل النحاة في البحث في بنيتها لترسيخ سماتها التداولية، فأثبتوا من خلال ذلك ترتيبا للضمائر قام على تقديم المتكلم على ضمير المخاطب وتقديم كليهما على الغائب، وما من أولية للمتكلم، وما بين المتكلم والمخاطب من تقارب.[1]

4- النداء:

يعتبر النداء من العناصر الإشارية التي يقصد بها تنبيه المنادى أو استدعاء شخص بإحدى أدوات النداء مذكورة أو محذوفة، فالنداء هو ضميمة اسمية تشير إلى المخاطب لتنبيهه أو استدعائه.[2]

والنداء كسائر العناصر الإشارية السابقة، لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه في الخطاب، وأدوات النداء هي: (يا، أيا، هيا، أي، الهمزة)، والياء أكثر هذه الأدوات استخداما ينادي بها القريب والبعيد.

3 - نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، ص 239.

1 - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 19.

وبعد أن استقرينا "سورة البقرة" وجدنا أن أداة النداء "يا" هي المستعملة مذكورة أو محذوفة، ولكن مرجعها يختلف من خطاب إلى آخر ففي قوله تعالى:" يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ اَلَّذي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ."[1]

أداة النداء هي (يا) والمنادى هو لفظ (الناس)، وجملة جواب النداء هي في قوله تعالى:" اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون.

وقوله تعالى:" يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي اَلْأَرْضِ حَلَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌ مُبِينٌ."[2]

نلاحظ في الآيتين أن النداء مخصص لجماعة من المخاطبين، لذلك أكد النحاة أن النداء يفيد الاختصاص بالمخاطب فلا يكون إلا للحاضر ... ولا يجوز نداء المتكلم ولا الغائب."[3]

كما أن لصيغة النداء وظيفة تخاطبية شأنها في ذلك شأن ضمير الحضور "أنت". ففي قول الله تعالى:" وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاَللَّهِ وَاليَوْمِ اَلْآخِرْ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ اضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ اَلْمَصِيرُ."[4]

2 – سورة البقرة، الآية: 21.

3 – سورة البقرة، الآية: 168.

4 – نرجس باديس، المرجع السابق، ص 247.

1 – سورة البقرة، الآية: 126.

أداة النداء (يا) في الآية المحذوفة، والمنادى لفظ (ربَّ)، وقد التزم السياق القرآني حذف الأداة (يا) في دعاء لفظ (ربَّ).لأن الله قريب من العبد مصداقا لقوله في سورة ق:" وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِن حَبْلِ اَلْوَرِيدِ."[1]

والدعاء في الآية جاء على لسان إبراهيم الخليل تعبيرا عن قرب ربه له. وفي مثل هذا التركيب قوله تعالى:" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ اَلْمَوْتَ قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا واعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ."[2]

وأكثر ما ورد من النداء في "سورة البقرة" للذين آمنوا، حيث ورد في إحدى عشرة موضعا نحو قوله تعالى:" يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ."[3]

كما ورد النداء إلى بني إسرائيل وذلك في ثلاثة مواضع في السورة ومن ذلك قوله تعالى:" يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ.

كان مرجع أداة النداء "يا" في الآية الكريمة (يا بني إسرائيل) هو بني إسرائيل والغرض من النداء، ذكرهم نعم الله تعالى والخلاء لشكره جل ثناؤه.

وقد تكرر نداؤهم أيضا في سورة البقرة في الآيات (122 و 47) تأكيدا لمضمون النداء، وذلك بتذكيرهم لأداء واجب الشكر.

2 – سورة ق، الآية: 16.

3 – سورة البقرة، الآية: 260.

4 – سورة البقرة، الآية: 104.

بعد ذلك كان النداء لآدم عليه السلام. وجاء في موضعين من ذلك قوله تعالى:" قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّيَ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ."

وهنا نداء خصه الله تعالى لآدم عليه السلام، بأن يخبر الملائكة بأسماء الأشياء التي علمه إياها، ففي الغالب النداء يعلن المتكلم المنادى ويختصه من بين أمته بتوجيه الكلام إليه[1].

كما ورد النداء إلى موسى عليه السلام وذلك في قوله تعالى:" وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اَللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ."

وجاء النداء إلى عموم الناس، في موضعين من ذلك قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي اَلْأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ."

يمكن أن نستخلص أن النداء أسلوب من أساليب الكلام في لغة العرب، وغرضه الأساسي للتنبيه والاهتمام بمضمون الخطاب، وهو طريق من طرق الخطاب بين المخاطِب والمخاطَب للتواصل والتقارب والتفاهم، وقد اعتمده القرآن الكريم في توصيل رسالته وتوضيح مقاصده.

ثانيا: الإشاريات الزمانية في سورتي البقرة وآل عمران.

استعملت العناصر الإشارية الزمانية المبهمة في خطاب السورة، بشكل متفاوت العدد والدلالة في قوله تعالى:" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ اَلْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَّ يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلاَ إِنَّهُ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى

1 – سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1998، ص 231–232.

شَيَاطِنِيهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ اَللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ."

تضمنت الآيات الثلاث عنصرا إشاريا زمانيا مكررا يكمن في "إذا" الذي يدل على الزمان والمتضمنة معنى الشرط وهي الغالبة في السورة، وقد خص هذا العنصر الإشاري الزماني بالدخول على الجملة الفعلية في قوله (وإذا قيل لهم ... وإذا قيل لهم آمنوا ... وإذا لقوا الذين آمنوا)، ففي الآيات دعوة موجهة إلى الكافرين في المدينة بأن يؤمنوا ويسلموا وجوههم لله وفتح صدورهم للرسول صلى الله عليه وسلم في قولهم: أنؤمن كما آمن السفهاء[1].

فبالعنصر الإشاري "إذا" يتضح لنا أن هناك وقت تلاقي المنافقين بأهل الإيمان، والتظاهر بالتقوى، ليتخذوه وسيلة للأذى وأداة لتمزيق الصف الإسلامي.

وفي قوله أيضا:" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اِسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ اَلْكَافِرِينَ.[2]"

واسم الزمان (إذ) يتحول في أسلوب القصص من ظرف يقع فيه الفعل الماضي إلى ظرف يقع فيه الأمر بغية تذكير المخاطب بأحداث قد مضت على سبيل الإرشاد والاعتبار، فيتمثل

1 – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 44.

2 – سورة البقرة، الآية: 34.

السامع تلك القصص العجيبة التي تصلح أن تكون كل واحدة منها قصة قائمة بذاتها، متميزة عن غيرها، وما يربط بينهما إلا أنها نعمٌ من المولى.[1]

وفي بعض الحالات تخرج "إذ" عن الظرفية، نحو قوله تعالى:" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيَ أَعْلَمُ مَالاَ تَعْلَمُونَ."[2]

"إذ" في أصله ظرف لما مضى من الزمن، وقد خرج عن الظرفية هنا، لأن الفعل وقع عليه، وهذا الفعل تقديره (اذكر) أي: (واذكر إذ قال ربك للملائكة)، أما عن "إذا" الظرفية فقد تتجرد من الشرط عند وقوعها بعد القسم غالبا وتكون عندئذ بمعنى (حين).

وردت لفظة "حين" نكرة في سورة البقرة وذلك في موضعين، ومن ذلك قوله تعالى:" فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي اَلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ."

ومعنى الآية هو ايذان بانطلاق المعركة بين الشيطان والإنسان في آخر الزمان.

كما صنفت "الآن" ضمن الظروف المبهمة والتي يشار بها إلى حاضر الوقت، وتلخيص هذا أن الزمان الذي يقع فيه كلام المتكلم، فهو آخر ما مضى وأول ما يأتي من الأزمنة، وهذا مراد قولهم الآن حد الزمانين.[3]

وقد ذكرت في السورة موضعين من ذلك قوله تعالى:" أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اَللَّهُ أَنَّكُمْ كَنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَاَلْآنَ بَشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اَللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ اَلْخَيْطُ اَلْأَبْيَضُ

1 – محمد خان، لغة القرآن الكريم، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2004، ص 206.

2 – سورة البقرة، الآية: 30.

3 – المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص 178.

مِنَ اَلْخَيْطِ اَلْأَسْوَدِ مِنَ اَلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَكِفُونَ فِي اَلْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اَللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذِلِكَ يُبَيِّنُ اَللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ."

(فالآن باشروهن) تعني لحظة التلفظ مباشرة، حين أباح الله تعالى لهم ما كانوا يختانون فيه أنفسهم، لكن هذه الإباحة لا تمضي دون أن تربط بالله.[1]

فقد يتسع مدى العنصر الإشاري (الآن)، ويتعدى الزمان المذكور ليحيل على عصر بأكمله وبذلك فإن تحديد مرجعها يحتاج إلى تضافر الأبعاد اللغوية السياقية.

وقد تستعمل الإشاريات الزمانية في الزمن المعدود، غير المُعَيَّن بالعلمية مثل "بعض" شريطة ألا يوجد ما يدل على أن الحدث (المعنى) مختص ببعض أجزاء ذلك الزمن.[2]

ومثال ذلك قوله تعالى:" أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِ هَذِهِ اَللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اَللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلْنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى اَلْعِظَامِ كَيْفَ نَنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اَللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ."[3]

بالإضافة إلى ما سبق، فقد وردت العناصر الإشارية الزمانية غير المبهمة في السورة بشكل متفاوت العدد والدلالة، ففي قوله تعالى:" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَاَلْأَرْضِ وَاَخْتِلاَفِ اَللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاَلْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي اَلْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اَللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ

1 – سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 175.

2 – حسن عباس، النحو الوافي، ج4، دار المعرف، مصر، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 269–270.

3 – سورة البقرة، الآية: 259.

فأَحْيَا بِهِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دآبَةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ والسَّحَابِ اَلْمُسَخَّرِ بَيْنِ السَّماءِ وَاَلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ."

تضم الآية الكريمة عنصران إشاريان زمنيان، وذلك في قوله: (واختلاف الليل والنهار) فهما يحيلان على مرجع زماني يكمن في تعاقب الليل والظلام، وتوالي الإشراق والعتمة.

كما أن في الآية تأكيد الله تعالى لكروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس بالوصف الدقيق ليتعاقب الليل والنهار، وهي تصف حركة تولد الليل من النهار، والنهار من الليل وصفا غاية في البلاغة والدقة العلمية. وهذا ما ورد أيضا في قوله تعالى:" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاواتِ وَاَلْأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِلَآيَاتٍ لِأُوْلِى اَلْأَلْبَابِ."[1]

كما أن الإحالة على الزمان قد تستغرق المدة الزمانية كلها، كأن يقال اليوم الأربعاء وقد تستغرق مدة محددة من الزمان مثل " ألقيت البحث يوم الأحد"، فإلقاء البحث لا يستغرق يوم الأحد بأكمله، بل يقع في جزء منه.[2]

وجاء في قوله تعالى في سورة آل عمران:" فَلَمَّا فَصَل طَالُوتُ بِاَلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اَللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ والَّذينَ ءَمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثيرةُ بإِذْنِ اللَّهِ وَاَللَّهُ مَعَ الصَّبِرِينَ."

الآية الأولى تتحدث عن المنافقين الذين يدَّعون الإيمان بالله واليوم الآخر، و(اليوم) هنا ليس باليوم الذي تكون من أربع وعشرين ساعة زمنية بالقياس الزمني المستعمل له لدينا الآن، بل المقصود به البعث يوم القيامة، ويسمى: اليوم الآخر لأنه آخر يوم، لا يوم بعده سواه.

1 – سورة آل عمران، الآية: 190.

2 – ينظر: محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 20.

وقد يستعمل "يوم" بمعنى المطلق من الزمان، كقولهم أنا اليوم أفعل كذا، فإنهم لا يريدون يوما بعينه، لكنهم يريدون يوما بعينه[1]. كما هو مذكور في قوله تعالى:" لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده".

كما استعملت إشاريات زمانية عديدة في سورة البقرة مثل ألفاظ (السنة، حول، عام، شهر، ...)، وتدل هذه الإشاريات في الغالب على زمن غير مبهم لا يمكن لنا إدراكه إلا بمعرفة السياق الذي ورد فيه.

كما وردت في سورة البقرة مجموعة من الأفعال التي أفادت صيغة الماضي، المضارع والأمر، فلا نجد آية تخلو منها ولتوضيح تداولها في السورة نذكر قوله تعالى:" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اَللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَتهِلِينَ قَالُوا اُدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَاهِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ."[2]

في الآيات سلسلة من الأفعال، أغلبها يندرج ضمن الإخبار بالأمر (تذبحوا، ادع، افعلوا)، وغرض هذه الأفعال هو اقرار وترسيخ قدرة الخالق على البعث وهو الغرض الذي جاءت من أجله قصة بني إسرائيل.

فالأمر كما صنفه المحدثون جزء من الأفعال التوجيهية، فالمنطوق جاء صريحا واللفظ يعتبر فعلا عند قوله.

1 – الزبيدي، تاج العروس، تح: علاء هلالي، ج 34، مؤسسة التكوين للتقدم العلمي، ط1، 2001، ص 143.

2 – سورة البقرة، الآية: 68.

ومن أرجح معاني الأمر أن تتواكب الصيغة بسلطة المرسل (الأمر) وإلا خرج الأمر عن معناه،[1] لذلك تميز بدلالة التوجيه بدوام السياق الأصلي، فإذا تجرد من القيود والقرائن دلّعلى طلب حقيقة الفعل المأثور به.

من الأفعال التوجيهية أيضا نجد النهي فإن كان للأمر صيغة أصلية، فإن النهي له أصلية. والمعروف أنه يستعمل النهي لتوجيه المخاطب والغائب، ولذلك عند استعمال حرف (لا) لأنه يقع على فعل الشاهد الغائب.[2]

قال الله تعالى:" أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اَللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ اَلْخَيْطُ اَلْأَبْيَضُ مِنَ اَلْخَيْطِ اَلْأَسْوَدِ مِنَ اَلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُون فِي اَلْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّه ءَايَاتِهِ لِلْنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ."[3]

في الآية فعلان (تاب، عفا)، اسندت إلى المولى عز وجل وأزمنتها ماضية، بدليل مضي المخاطب بها من بني إسرائيل، ومفادها التذكير بنعم الله تعالى.[4]

ومن صيغ الماضي أيضا، ورود الفعل (أخذ) بصيغة الماضي مسبوقا بـ(إذا) الظرفية في قوله تعالى:" وَإِذْ أَخَذْنَا مِثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.[5]

1 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع نفسه، ص 340.

2 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، المرجع السابق، ص 250.

3 – سورة البقرة، الآية: 187.

4 – محمد خان، المرجع نفسه، ص 196.

5 – سورة البقرة، الآية: 63.

بحيث عطف الله تعالى هذه النعمة على النعم التي سبقت، والمعنى في قوله (وإذ أخذنا ميثاقكم) هو أخذ ميثاقكم لمصلحتكم، والميثاق ما أودعه الله تعالى العقول من الدلائل على وجوده وقدرته وحكمته.[1]

كما ورد الفعل (أخذ) في الآية للمرة الثانية على صيغة الأمر (خذوا)، كما ورد الفعل نفسه، بصيغة المضارع في قوله تعالى:" وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَتَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ."

1 – أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، ج1، دار الفكر، ط 1، لبنان، 1420هـ، ص 406.

ثالثا: الإشاريات المكانية في سورة البقرة.

استعملت ظروف المكان في سورة البقرة بشكل متفاوت العدد والدلالة، مثل المبهمات المكانية في أسماء الإشارة نحو: ذا، هذا، هذه، تلك ...، ومن ذاك قوله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ لاَيَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاَ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلَّ بِهِ إِلاَّ الفَسِقِينَ."[1]

ففي الآية عنصر إشاري يتمثل في اسم الاشارة (هذا) في قوله (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهو إشارة إلى معجزة الله في البعوضة.

أسماء الإشارة في السورة كثيرة، وهذا ما يوضح أهميتها في الخطاب فهو أسلوب أنتجه القرآن أي الاختصار في التعبير، وهذا من بلاغته، إذ لا يمكننا تحديد وضعية الأشياء مادام الكلام يتخذ ويحتمل أدبية معينة، فالحديث كان يدور حول أشياء مجردة لا يمكن تحديد وضعيتها، وهي مجسدة في الواقع، ولا وجود للشخصيات الخطابية، حتى نموقعها في وضعية تتضح فيها المبهمات الإشارية والظرفية بصفة جلية.[2]

ومن أسماء الإشارة، نذكر قوله تعالى:" ذَلِكَ اَلْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ." أي أن هذا القرآن الذي أنزلته عليك يا محمد – صلى الله عليه وسلم – هو الكتاب الذي لا يدانيه كتاب و(ذلك) قد تستعمل في الإشارة إلى حاضر وإن كان موضوعا بالإشارة إلى غائب اختلف في ذلك الغائب على أقوال عشرة ومن ذلك قيل: (ذلك الكتاب) أي الكتاب الذي كتبت على الخلائق بالسعادة والشقاوة والأجل والرزق لا ريب فيه، أي لا مبدل له وقيل: (ذلك الكتاب) أي الذي كتبت على نفسي في الأزل إن رحمتي سبقت غضبي، وقيل: إن الله

1 – سورة البقرة، الآية: 26

2 – ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 156.

تعالى قد كان وعد نبيه عليه السلام إن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء فأشار إلى ذلك الوعد وقيل: الإشارة إلى ما قد نزل من القرآن بمكة ... إلى غيرها من الآراء.[1]

كما ورد في الآية السابقة (26) عنصر إشاري الذي يتمثل في (فوق) للإحالة على مرجع مكاني الذي تم فيه التلفظ، فالآية تشي بأن المنافقين – وربما كان اليهود والمشركون– قد وجدوا في هذه المناسبة منفذا للتشكيك في صدق الوحي بهذا القرآن.[2]

وقد يستخدم العنصر الإشاري (فوق) لغير ما وضع له، وهذا ما يظهر في قوله تعالى:" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ."

ففي هذا الملفوظ لا تحيل على المرجع المكاني، بل تعبير بين قوة رفع الصخرة وقوة أخذ العهد.[3]

وتساعد الإشاريات المكانية في تحديد المكان من حيث نوعيته، وهذا ما ذهبت إليه "أركيوني" ، يمكن النظر إلى الإطار المكاني من خلال مظاهره الفيزيائية البحتة، وتحديد المكان من حيث كونه مغلقا أو مفتوحا عاما أو خاصا، واسعا أو ضيقا ... وكيف يتم التخاطب وجها لوجه، جنب لجنب والمسافة الفاصلة بينهما ... [4]

كما ورد في السورة العديد من الأماكن مثل: الجنة، النار، البحر، القرية، المساجد ... والعديد من الأماكن الأخرى. ومن أمثلة ذلك الجنة.

1 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني، ج1، دار الكتب المصرية، ط 2، القاهرة، 1964، ص 244.
2 – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص 50.
3 – سيد قطب، المرجع السابق، ص 76.
4 – ذهبية حمو الحاج، المرجع السابق، ص 155.

الجنة: كل بستان ذِي شَجَرٍ يستتر بأشجاره الأرض ... لكون الجنان سَبْعًا: جنة الفردوس، وعدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليّين[1]. ففي قوله تعالى:" أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتَهَا اَلْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ اَلْكِبَرُ وَلَهُ ذَرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اَللَّهُ لَكُمُ الايَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ." [2]

تضم هذه الآية عنصران يحيلان إلى المكان، الأول يكمن في لفظة الجنة والثاني في الأنهار، والآية تشير إلى ما زرع في الجنة من نخيل وأعناب، أما الثمرات فقد تعني الأشجار والزروع الأخرى، وقد تعني المنافع عموما.[3]

وقد وردت الجنة أيضا في قوله تعالى:" وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ اَلْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ." وهي الجنة التي أسكن الله فيها آدم عليه السلام ثم أخرجه منها.

كما استعمل في السورة صيغة الجمع "جنات" على أن الآخرة تتكون من جنان كثيرة، وقد كثرت مصاحبة لفظ "جنات" للفظ "أنهار" ومن ذلك قوله تعالى:" وَبَشِّرِ اَلْذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّتٍ مِنْ تَحْتَهَا اَلْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ."

1 – الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج1، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د ط)، (د ت)، ص 128.

2 – سورة البقرة، الآية: 266.

3 – جار الله الزمخشري، المرجع السابق، ص 498.

وقد تتضافر الإشاريات المكانية فيما بينها لتحديد المرجع المكاني المقصود، بحيث نجد في القول الواحد أكثر من عنصر، كما هو الحال في هذه الآية، فهناك عنصر إشاري مكاني آخر وهو "البيت" فهو برأي المفسرين " الكعبة". قال أبو حيان:" وصفه بالأمن وهذه صيغة جميع الحرم لا صفة الكعبة فقط، ويجوز اطلاق البيت ويراد به كل الحرم.[1]

كما قد يذكر المتكلم وقوع الأحداث، إلا أنه يصعب على المتلقي تحديد المعنى، وهذا ما يظهر في قوله تعالى:" وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ اَلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُم وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اِشْتَرِيهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ."

فبابل هي قطر من الأرض لكن القرآن لم يحدد المكان فاختلفوا فيه، فقيل: العراق وما ولاه، وقيل المغرب، وقيل إيران.[2]

وعلى هذا فإنه لا بد من الاستعانة بالسياق اللغوي والمقامي لمعرفة ما إذا كان الملفوظ يحيل على المكان أم لا.

وما يمكن أن نستخلصه مما سبق أن العلاقة بين الزمان والمكان مرتبطة بالحديث عن علاقة المخاطب بالوضعية التواصلية، وبالسياق الذي يجري في الخطاب فالزمان والمكان كل منهما يكمل الآخر، ومن ثم لا وجود لأحدهما دون الآخر والملاحظ في خطاب السورة، أنهما متداخلان متمازجان حاضران حضورا دائما، فلا نستطيع تناول أحدهما بمعزل عن الآخر.

1 – أبو حيان الأندلسي، المرجع السابق، ص 552.

2 – القرطبي، الجامع، المرجع السابق، ص 286.

رابعا: الإشاريات الاجتماعية وإشاريات الخطاب.

1- الإشاريات الاجتماعية:

استخدمت الإشاريات الاجتماعية في سورة البقرة متنوعة، منها استخدام العنصر الإشاري الاجتماعي المقترن بضمير المتكلم، ففي قوله تعالى:" اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاَلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِنَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ." ففي قوله "رزقناهم" للإحالة إلى مرجع يكمن في لفظة (الله) وهذا تعظيما لذات الله المقدسة.

وفي قوله أيضا:" فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حينٍ."[1]

ففي قوله (قلنا) للإحالة على لفظة الجلالة (الله) الدال على سلطته ومكانته الرفيعة وهذا من أهم العوامل السياقية التي تتحكم في استخدام الإشاريات الاجتماعية.

ومن الإشاريات الاجتماعية أيضا التي تعبر عن المحبة والألفة، قوله تعاى:" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابينَ وَيُحِبَّ المُتَطَهِّرِينَ."[2]

وردت في الآية محبة الله تعالى لعباده التوابين والمتطهرين، غحب الله للعبد يأتي مثبتا تارة ومنفيا تارة، متعلق بفئات من العباد أو بأنواع من الأفعال والصفات.

وردت لفظة المرأة في سورة البقرة بألفاظ مختلفة دالة عليها كالنساء، الزوج، الوالدة، ويتضح هذا في قوله تعالى:" وَاَلْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنْ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةُ قُرُوءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ

1 – سورة البقرة، الآية: 36.

2 – سورة البقرة، الآية: 222.

يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرْ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ."

في الآية الكريمة ألفاظ تشير إلى طبقات اجتماعية معين: المطلقات، أرحامهن، بعولتهن، الرجال.

كما ورد في السورة حب العبد لله تعالى، فهو من مقتضيات الإيمان ومن ذلك قوله تعالى:" وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَاب أَنَّ القُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العَذابِ."[1]

وللإشاريات الاجتماعية دلالات في بعض الألفاظ على الطبقة الاجتماعية منها استخدام: حرمه، زوجته، امرأته ... الخ.[2]

وعليه فإن الإشاريات الاجتماعية تُعد عنصرًا مهما في توطيد علاقاتنا الاجتماعية، فنحن نستعملها يوميا أثناء تواصلنا مع الآخرين، بحسب مكانة المخاطب ونوع العلاقة الاجتماعية التي تربطنا به.

1 – سورة البقرة، الآية: 165.

2 – يُنظر: محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص 26.

2 – الإشاريات الخطابية:

تضمنت "سورة البقرة" الإشاريات الخطابية، نذكر منها قوله تعالى:" لَيْسَ اَلْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ اَلْمَشْرِقِ وَاَلْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ اَلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَاَلْيَوْمِ الآخِرِ وَاَلْمَلاَئِكَةِ وَاَلْكِتَابِ وَالنَّبِيِنَ وَءَاتَى اَلْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي اَلْقُرْبَى وَاَلْيَتَامَى وَاَلْمَسَاكِينَ وَاَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَاَلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَهَدُوا والصَّابِرِينَ فِي اَلْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ اَلْبَاْسِ أُوْلَئِكَ اَلَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ اَلْمُتَّقُونَ."

وُجِّهَ الخطاب لأهل الكتاب، لأن اليهود والنصارى أكثروا الخوض في أمر القبلة، وزعموا أن البر التوجه إليها، وقيل: ليس البر فيما أنتم عليه ولكن البر ما نبيِّنُه.[1]

نلاحظ أن في الآية استدراك على كلام سابق باستخدام (لكن)، فالكلام بعدها جاء مخالفا لما قبلها، والاستدراك لا يتحقق إلا إذا وقعت (لكن) بين كلامين متناقضين بوجه ما.[2]

وأن البر الذي يجب الاهتمام به هو بر من آمن وقام بتلك الأعمال.

وفي آية أخرى يقول الله تعالى:" وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى اَلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ اَلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اَللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدِعَلِمُوا لَمَنِ اِشْتَرِيهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ."[3]

1 – الزمخشري، المرجع السابق، ص 362.

2 القطري، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، ج2، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2006، ص 272.

3 – سورة البقرة، الآية: 102.

نفى الله تعالى عن سليمان السحر والكفر الذي نسبته إليه اليهود في قوله (ما كفر سليمان)، وأثبت كفرهم بتعليم السحر في قوله (لكن الشياطين كفروا).[1]

كما وردت بل في السورة، ومن ذلك قوله تعالى:" وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَّعَنَهُمُ اَللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ."

أي أن اليهود قالت قلوبنا مغلفة لا تسع إلى داعية جديد وذلك تشتيتا لمحمد صلى الله عليه وسلم وللمسلمين، يقول الله تعالى ردا على قولهم: (بل لعنهم الله بكفرهم) أي أنه طردهم عن الهدى بسبب كفرهم.[2]

قال الله تعالى:" أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحي هَذِهِ اَللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اَللَّهُ مَائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اَللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ."[3]

"بل" في هذه الآية إبطالية إذ نفت أن تكون مدة موته يوما أو بعض يوم وأثبتت أنها مئة عام، كما جاءت عاطفة إذ عطفت ما بعدها على جملة محذوفة، وهي عاطفة أيضا على رأي المالقي لوجود علاقة معنوية ما بعد "بل" (لبثت مائة عام) وما قبلها (لبث يوما أو بعض يوم) وهي مدة اللبث.[4]

1 – الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط2، ص 414.

2 – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص 90.

3 – سورة البقرة، الآية: 259.

4 – إنجا إبراهيم يحي اليماني، أساليب الإضراب والاستدراك في القرآن، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1990، ص 44.

وقد تستعار إشاريات الزمان وإشاريات المكان لتستخدم إشاريات للخطاب فكما يقال: الأسبوع الماضي يمكن أن يقال الفصل الماضي من الكتاب، أو الرأي السابق، وقد يقال: هذا النص للإشارة إلى نص قريب، أو تلك القصة إشارة إلى قصة بعد بها القول.[1]

ومن ذلك قوله تعالى:" وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ اَلْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ."

في هذه الآية اسم إشارة "تلك" الذي يشير إلى البعيد، فاليهود قالوا: لن يدخل إلا من كان يهوديا، والنصارى قاوا: لن يدخل إلا من كان نصرانيا لما هو معروف من العداوة بين الفريقين وهذه عقيدة الفريقين إلى اليوم.

وكل ذلك كام مجرد إدعاء بدليل (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين).

إذن، ما نلاحظه أن إشاريات الخطاب تجمع بين الإشاريات الزمانية والمكانية، ومن خلال إشاريات الخطاب يستطيع المتكلم أن يبدي رأيا أو يستدرك كلاما سابقا أو يوضح أمرا، أو يصدر تعليقا تجاه موقف معين فيستعمل بذلك عبارات ملائمة تفي بالغرض المقصود.[2]

1 – محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 24.

2 – أحلام صلوح، أفعال الكلام في نهج البلاغة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، 2012، ص 22.

خـاتـمـة

وفي خاتمة البحث نستنتج أن اللسانيات التداولية ميدانا لغويا لا يهتم بمعاني الجمل، وإنما يبحث في ما يعنيه المتكلم بهذه الجمل، وأن الإشاريات مبحث تداولي يبحث في كيفية تداول العناصر الإشارية في الخطاب اللغوي.

كما تعتبر الإشاريات علامات لغوية، يتحدد مرجعها بالرجوع إلى سياق الخطاب، وبعد دراستنا لبعض النماذج من الخطاب القرآني، تبيَّنَ بأن هناك ثلاثة أنواع من الضمائر وهي:

– ضمير المفرد والذي تمثل في الضمير المنفصل (أنا)، والضمير المتصل (التاء، الياء).

– ضمير الجمع للمتكلم (نحن)، والضمير المتصل (نا)، فالضمير هنا لا يعبر عن الجمع، وإنما يدل على العظمى والثناء.

– أما ضمائر المخاطب والغائب، فوردت متصلة، منفصلة، مستترة فهي تختلف باختلاف الخطاب.

أما النداء فقد ورد بصورة مكثفة، وخاصة الأداة (يا) المذكورة والمحذوفة، أما عن مرجعها فكانت محدد حسب سياق الخطاب.

وقد أفضت دراستنا هذه إلى جملة من النتائج نوردها تباعاً:

– استعملت الإشاريات الزمانية الكونية، بصيغة الإبهام والغموض إذ أنها لا يتحدد مرجعها إلى بالرجوع إلى السياق الذي وردت فيه، نحو: عام، يوم، شهر ...، بينما الزمان النحوي فقد تنوع بين الماضي والحاضر والمستقبل.

– استعملت الإشاريات المكانية واعتمد تفسيرها على مكان تلفظ المرسل بالخطاب، ولا يتحدد معناها إلا من خلال السياق، وتعد أكثر الإشاريات وضوحا والتي تتحقق بأسماء الإشارة وظروف المكان، ومن بين أنواع الأماكن في الخطاب القرآني نجد: الأرض، الجنة، الصفا، المروة ...

– ساهمت الإشاريات الخطابية في بناء مواقف المتكلمين، ففي خطاب القرآن استدراك على كلام سابق، أو العدول عنه وذلك باستخدام حروف نحو: لكن، بل.

– ساهمت الإشاريات الاجتماعية في تأسيس العلاقة الاجتماعية بين طرفي العملية التخاطبية، كما جسدت الاستراتجية التضامنية في الخطاب، ولهذا فالإشاريات الاجتماعية تتحكم فيها مجموعة من العوامل منها: سلطة المرسل إليه، علاقة المرسل بالمرسل إليه، ومكان التخاطب.

القرآن الكريم برواية حفص.

أولا: قائمة المصادر.

1- أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان)، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الوجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993.

2- أبو البقاء الكفوي (أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ،تح:عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة،بيروت ، ط2، 1998.

3- ابن فارس(أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج2، دار الفكر، (د ط)، 1979.

4- الخليل(أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي البصري)، كتاب العين، ،تح: عبد الحميد هنداوي ،ج1، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، (د ت).

5- الراغب الأصفهاني(الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني)، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، (د ط)، (د ت).

6- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: أحمد عبد الموجود ونعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1998.

7- السكاكي (سراج الدين أبو يعقوب يوسف بم أبي بكر محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي)، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

8- سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي يُكنى أبو بشر)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988.

9- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، (د ت).

10- القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح) ، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمَّنَه من السّنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

11- محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، ،تح: علي دحروج، لبنان- بيروت، (د ت).

ثانيا: قائمة المراجع.

12- أحلام صولح، أفعال الكلام في نهج البلاغة للإمام علي رضي الله عنه، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان، تخصص دراسات دلالية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013/2012.

13- الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993.

14- إنجا إبراهيم يحيى اليماني، أساليب الإضراب والاستدراك في القرآن الكريم، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1990.

15- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994.

16- حورية رزقي، الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2006/2005.

17- حسن عباس، النحو الوافي، ج4، دار المعارف، مصر، (د ط)، (د ت).

18- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009.

19- ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، (د ط)، 1988.

20- زبيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي هلالي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط1، 2000.

21- سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ط)، 2003.

22- طه عبد الرحمان، سؤال اللغة والمنطق، سلسلة رسائل طابة، أبو ظبي، الإمارات العربية، ط1، 2010.

23- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.

24- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

25- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط2، 1986.

26- فاضل مصطفى الساقي، أقسام الكلم العربي من حيث الشكل والوظيفة، دار العلوم، القاهرة، (د ط)، 1977.

27- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (د ط)، (دت).

28- فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007.

29- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلام في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

30- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (دط)، 2002.

31- محمود سليمان ياقوت، النحو التعليمي والتطبيقي في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الكويت، (د ط)، 2011.

32- محمد خان، لغة القرآن الكريم، دار الهدى، عين مليلة، ط1، 2005.

33- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج1، مكتبة المصري، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

34- محمد علي السراج، الباب في قواعد اللغة والأدب، تح: خير الدين باشا، دار الفكر، دمشق، ط1، 1982.

35- مرزوقي، الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

36- نائل محمد إسماعيل، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، مجلة جامعة الأزهر، غزة، عدد 1، 2011.

37- نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي، تونس، (دط)، 2009.

38- نائل محمد إسماعيل، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني دراسة وصفية تحليلية، مجلة الأزهر، غزة، ع1، 2011/04/03.

39- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2009.

فـــهـــرس

الـــمـــوضـــوعـــات.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة..... أ- ج

مدخل: إلى المفاهيم الأساسية للبحث..... 01

أولا: تعريف البعد.....01

ثانيا: تعريف الدلالة.....02

ثالثا: تعريف الأبعاد الدلالية.....04

رابعا: تعريف التداولية لغةً واصطلاحاً.....05

خامسا: تعريف الإشاريات التداولية.....12

الفصل الأول: أنواع الإشاريات.....16

أولا: الإشاريات الشخصية.....20

1- ضمائر المتكلم.....22

2- ضمائر المخاطب.....23

3- ضمائر الغائب.....24

4- النداء.....25

ثانيا: الإشاريات الزمانية.....26

1- العناصر الإشارية الدالة على الزمن النحوي.....28

2- أقسام الفعل ودلالته.....30

ثالثا: الإشاريات المكانية.....32

1- الإشاريات المكانية الظرفية.....33

2- مؤشرات المكان.....34

رابعا: الإشاريات الإجتماعية.....35

خامسا: الإشاريات الخطابية.....38

الفصل الثاني: الإشاريات في الخطاب القرآني، نماذج مختارة.....42

أولا: الإشاريات الشخصية في سورة البقرة، المائدة، ق(...).....40

ثانيا: الإشاريات الزمانية في سورة البقرة وآل عمران.....60

ثالثا: الإشاريات المكانية في سورة البقرة.....67

رابعا: الإشاريات الاجتماعية وإشاريات الخطاب في سورة البقرة.....71

خاتمة.....78

قائمة المصادر والمراجع.....80